محمد باباعمي

بورصة الصراحة

حضور صحفي، من عمق وعائنا الحضاري

غايتنا رضوان الله سبحانه وتعالى

الإسهام في ترشيد الأمة، بمنهج علمي، من منطلق قرآني

بسم الله الرحمن الرحيم

المكتبة الوقفية للدكتور محمد بن موسى بن جابر العمري

مقدمة

العمل الصحفيُّ رسالةٌ ومعاناة، جهادٌ وتدافع؛ إذ الإعلام اليومَ ثغرٌ من أشدِّ الثغور الحضارية ضراوةً، مَن كسبه كسبَ المعركة، ومن خسِره تجرَّع مرارة الهزيمة.

ولقد شاء الله تعالى أن أدعَى إلى «جريدة البصائر» يوم أحييت في شوطها الرابع، بدايةَ القرن الواحد والعشرين، بمبادرةٍ طيِّبة من الشيخ عبد الرحمن شيبان رحمه الله، وبسندٍ مَتين من العالمين العلَمين الدكتور عبد الرزاق قسوم، والأستاذ محمد الهادي الحسني.

والبصائر في ذاكرة الجزائر هي «أمُّ الجرائد»، وهي لسان حال «أمِّ الجمعيات»، «جمعيةِ العلماء المسلمين الجزائريين»؛ فقد أسِّست على تقوى من الله شهر شوال 1354هـ - ديسمبر 1935م؛ تحت إمرة كبار علماء الجزائر، على رأسهم الإمام عبد الحمد ابن باديس، والهمام البشير الإبراهيمي... وغيرهم من الرجال الجبال كثير.

فكانت «البصائر» لوَحدها سدًّا منيعًا، وحِصنا حصينا، للإسلام واللغة العربية والهوية الوطنية؛ وكان الناس يتخرَّجون فيها تخرُّجهم في أرقى المعاهد والجامعات، ويصقلون معارفهم ومواقفهم على إيقاعها؛ حتى إنَّ الواحد منهم لَيبيتُ على الجوع والطوى، ويصبر على العطش والخوى، ولكنَّه لا يحتمل التخلُّف أسبوعًا واحدًا عن مطالعة البصائر، وتصفُّحها جملة جملة، وكلمة كلمة، وحرفا حرفا.

هاتفَني أستاذي الدكتور عبد الرزاق قسوم صبيحة يوم ربيعي من عام 1431هـ2000-م، فقال: «نحن عازمون على إحياء جريدة البصائر، وإنَّا لندعوك لتكون معنا، مسؤولا للتحرير، متفرِّغا في جمعية العلماء، وعضوًا في مكتبها الدائم»، ثم سكت برهة، وقال: «ماذا ترى؟».

نزل الخبر عليَّ كالصاعقة، فقد كنتُ يومَها منكبًّا على «المطياف القرآني»، وهو مركزٌ للبحوث والدراسات، ساهمتُ في إنشائه مع ثلَّة مِن خيرة شباب الأمَّة؛ ليكون منارةَ علم وبحثٍ في كلِّ ما يمتُّ إلى القرآن الكريم بصلة، وكنت كذلك عضوًا عاملا في إدارة «جمعية التراث»، الرائدةِ في التأليف والتحقيق، والنشر والتوزيع. وكان السؤال الصعب الذي يحفر في عقلي وقلبي هو: «لمن أترك مسؤولياتي هذه؟»

قلت للدكتور قسوم، دون تردُّد: «سأستشير شيخي، ووالدي الروحيَّ، فضيلة الشيخ عدون، حفظه الله، ثم آتيك بالجواب».

حلَّقت على جناح السرعة وجهةَ القرارة، وكلَّمت الشيخ عدون في الموضوع، ثم قلت له: «الرأي رأيك، وأنا رهن إشارتك».

قال، بعد صمت حكيم: **«حقيقةً، يصعب علينا أن نهدم حصنا لنعلي حصنا[1]، غير أنَّ الحصن العامَّ أولى من الحصن الخاصِّ. توكَّل على الله، وتقدَّم، فالله معك، ولن يضيع لك أجرا»**.

وبدأ المشوار، فوُظِّفت في الجريدة، وفي جمعية العلماء، ففتح الله عليَّ بما فتح من مقالات، وخواطر؛ أبرزُها عمود «بصيرة البصائر»، الذي كان يُنشر في الصفحة الأخيرة من الجريدة، أعالج من خلاله - بصراحةٍ - العديدَ من المواقف، وأنقد وأصوِّب ما عنَّ لي من مجريات الأحداث؛ ولا أبالي، أكان ما أكتبُ مَرضِيًّا عند عِلية القوم أم لم يكن، ما دام يرضي الله تعالى، ويُريح الضمير، ويخدم الرسالة والغاية.

ولقد كتبتُ يومها، تحت عنوان «بورصة الصراحة»:

«بالعمل فقط نكتسب الأمل، وليس أسعدَ في حياة المرء من لحظة يصارح فيها نفسَه، ويصارح فيها غيرَه، دون ذلٍّ ولا كبرياء..

فالصراحة هي مفتاح السعادة كلِّها، بل هي السعادة بعينها، وهي البلسم الشافي للعيش السليم، وهي السرُّ في رقي الأمم والمجتمعات...

ولا تعني الصراحة، البتَّةَ، المساسَ بمشاعر الآخرِين، ولا التعدِّي على حرياتهم...

وليسأل كلُّ واحد منَّا نفسه، وليُسائل أهله ومجتمعه:

❖ ما هو حظُّنا من الصراحة؟

❖ وما حظُّ وسائل الإعلام في بلدي منها، سواء أكانت جرائدَ أم مجلات أم قنوات للتلفزيون...؟

❖ وأين ومتى يتعلَّم الواحد منَّا معاني الصراحة؟

وليكن الجواب على هذا السؤال، عن الصراحة، بصراحة..».

❖❖❖❖❖❖❖

وها أنذا، بعد عقدٍ من الزمان، أنشرُ بعضَ ما كتبتُ في الصحافة الورقية، دون الرقمية، وبعض المواد التي أعددتها ولم يكتب لها النشر؛ وأختار له ذات العنوان المعبِّر عن تلكم القيم العزيزة: «بورصة الصراحة»؛ وغرضي أن يكون هذا العمل - بحول الله - شاهدا ودليلا على مرحلة حرجة مرَّت بها جزائرُنا الغالية، وأضيف إلى العمود جملةً من المقالات والحوارات والتحقيقات، التي نشرتها في البصائر أو في غيرها، ليكتمل المؤلَّف سِفرا محكما، أهدِيه للقارئ العزيز، عربون حبٍّ ووفاء، ولينظُر فيه بعين النقد والتمحيص، ذلك أنَّ العلم فركٌ وجدل، والرأيَ السديد وليدُ السجال والحوار.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

د. محمد باباعمي، أبو الربيع

شوال 1432هـ - سبتمبر 2011م

بصيرة البصائر

محمد باباعمي

توقيع: أبو الربيع

ثقافة الردّة والرداءة

عندما أقف أمام كشك لأشتريَ جريدة من جرائد بلادي، ينتابني الخوف، ويعتريني الحياء.

خوفٌ على مصير أمَّة ابتُذلت فيها الثقافة، واستبدل بالكلمة الطيبة، وبالآية الكريمة، وبالحديث الشريف، وبالحكمة الهادفة... الذي هو أدنى: من صورٍ عارية، وأخبارٍ فنية دنيئة، وفضائح مزوَّقة منمَّقة...

أمَّا الحياء الذي يتملَّكني، فلأنِّي جزائريٌّ مسلم، وسليل شعب حيِي... ولأنَّني لاحظتُ التاجر الذي يبيعها فألفيتُه يتحرَّج ويستحي من لمسها، والذي يشتريها لا يرفعها إلاَّ إذا التفتَ يمنة ويُسرة، وتخافتَ حتى لا يوصَمَ بالعار الذي اقتناه؛ لأنَّه لو قدِّر له أن يلتقي أباه أو أمَّه أو أخاه أو ابنه أو زوجته... فلا ريب أنَّه سيبعدها عن أعينهم، مخافة أن يوصَم بالردَّة والرداءة.

والذي يبحث عن الثقافة الراقية الطاهرة، يَحار في أمره، ويقع فيما يقع فيه مُقتني الهوائية المقعَّرة (البارابول): هل يَحتسي جزءً من الغثِّ لأجل جرعة واحدة من السمين، منبثَّةٍ في ثناياه؟ أم يرفض الكلَّ، ويتبرَّأ من ثقافة وطنِه، ويكتفي بمطالعة القديم من تراثه، يبدئ فيه ويعيد... في انتظار الفرج؟

ويصدق الشاعر حين يصف شاته الهزيلة، وكأنَّه يصف صحافتنا:

هزلت، حتى بدا من هزالها ❖ كُلاها، وسامها كل مفلس

وحتى لا نقع في خطأ التعميم، نحيِّي كلَّ صحافة أصيلة، وكلَّ صحفيٍّ حُمِّل أمانة الكلمة فتحمَّلها بصدق وإخلاص، وندعو الآخرين إلى الرشد والرشاد.

اخلع نعليك

للنعل في لغة العرب أكثر من معنى، ولخلعِ النعل في عرف الناس أكثر من دلالة ..

وسأكتفي في وقفتي هذه بمعنيين وبدلالتين، هما:

❖ أولا- يوم آنس سيدُنا موسى عليه السلام ناراً، فقال لأهله: "امكثوا إني أنست نارا، لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدىً" فلمَّا وصل إليها ناداه ربُّ العزة: "إني أنا ربُّك، فاخلع نعليك، إنَّك بالوادي المقدس طوى"

. .. فخلع موسى نعليه احتراما للمقام، وإيذانا بالدخول في الحضرة العلوية، ثم جزاه ربه بأن اختاره واصطفاه، وأرسله إلى فرعون "إنه طغى". وليس في تاريخ البشرية نعلٌ أعمق معنى من نعل موسى عليه السلام، ولا خلع نعلٍ أكثر دلالة من خلعه.

❖ أمَّا المثال الثاني، فيحملنا إلى اليوم الذي عاتب فيه الإمبراطور الياباني وزراءه قائلا: "لماذا كل صناعتكم أجنبية؟!". فقالوا: "حتى حذاءك الذي تلبسه هو صناعة أجنبية، وماذا نفعل إذا كنا غير قادرين إلاَّ على ذلك؟". فرمى الإمبراطور نعليْه جانبا، ثم قال: "سأظلُّ أمشِي حافيا، حتى يصنع هذا الشعب حذاءً".

فكانت هذه بداية التطوُّر في اليابان...

ولا نملك إلاَّ أن نقول: ألم يأن الأوان لأن يخلع علماؤنا، ومفكِّرونا، وسياسيُّونا نعالَهم، إيذانًا منهم بتقديس كلمة الله جل عُلاه، ويعقِدوا العزم على تحطيم "الفراعنة والفرعنة" من قلوبهم، ثم من داخل وخارج أوطانهم ... ثم يخلعوا نعالهم ثانية، بالتحرُّر من التبعية للغرب ثقافيا وفكريا، واجتماعيا، وسياسيا، واقتصاديا؟.

يومها فقط، سترجع أمَّتنا -كما كانت - "خير أمَّة أخرِجت للناس"، وستُضاهي العملاق الأصفر اليابان في ازدهاره ... وبهذا نجمع بين الحسنين، وننال الجنَّتين، ونحمد الله على أن هدانا لخلع النعلين!

دعاءٌ لحضرة السلطان ...امين

بعيدًا عن الإعصار السياسيّ، وعن زحمة الآراء والآراء المضادة.

بعيدًا عن التحليل النظري، وعن التهوين أو التهويل...

بعيدًا عن حظوظ النفس الدنيئة، وعن الأغراض الذاتية الضيِّقة.

بعيدًا عن كلِّ ذلك، وددتُ أن ألج إلى مكتب الرئيس - وكلُّ مسؤول في الجزائر رئيسٌ - دون أن أطرق الباب، أو أطلب الرخصة من البواب، أدخُلها اليوم من نافذة الدعاء، وما أدراك ما الدعاء:

لئن كان الله تعالى يأمر عباده -في صالحهم ولصالحهم- قائلا: "ادعوني أستجب لكم"؟ فإني أتساءل في براءة: "كم من دعاء ادَّخرناه لوطننا؟ ومَن منَّا لاذ بالدعاء، مع اتخاذ الأسباب، ليصلح الله ما بنا؟

ولقد كان علماءُ السلف عليهم شآبيب الرحمة يقولون: "لو كانت لنا دعوةٌ مستجابة لدعوناها للسلطان، فإنَّ الله يُصلح بصلاحه خلقا كثيرا".

ولقد آليتُ على نفسي أن أخصَّ كلَّ مسؤول في وطني بدعاء، عسى الله يصلح شأنهم، ويلهمهم رشدهم، ويسند خطاهم، على أن يلوذوا بدينه، ويستمسكوا بشريعته، غير آبِهين بكيد الكائدين، ولا بحقد الشانئين ...

فإن فعلوا - ولا أخالهم إلاَّ يفعلون - كان الله لهم سندا، وكفى به سندا؛ وكان الشعب لهم أذُنا، ونِعْمَت الأذن.

ثم لِيعلم كلُّ مسؤول في بلدي، أنَّه لو وصل إلى تلكم المقامات العليَّة، فسيصدق فيه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "يومٌ من سلطان عادل أفضل من عبادة ستين سنة من غيره".

هذا في الدنيا، أمَّا في الآخرة فسينالون الدرجات الرفيعة، لحديث خير البرية: "إنَّ أحبَّ الناس إلى الله يوم القيامة، وأدناهم منه مجلسا، إمام عادل".

فيا أيها الرئيس، ويا أيها المرؤوس، فُوزوا بحبِّ الله تعالى، واسعَوا لنيل جِواره، **وليس يُطلَب منكم غير العدل أولا، ثم العدل ثانيا، ثم العدل ثالثا...**

نشاط التنصير في الجزائر...مسؤولية من؟

زرت صديقا لي،فدعاني لرؤية مجموعة من الكتب جاءته عن طريق البريد، دون أن يعرف من أين أخِذ عنوانه.

فلمَّا ألقيت عليها النظرة، وجدتها كتبا تدعو إلى المسيحية، وتنتقي من القرآن الكريم نصوصا تدعم بها صدق أهل الكتاب، وكونَ الإسلامِ يعترف بالمسيحية ديانة سماوية غير محرَّفة، مما يجعل غير العارف بالحقّ يخطئ في الاعتقاد.

ومن جملة هذه الكتب: "الخطيئة والكفارة في الإسلام والمسيحية"، و"إنجيل المسيح كما دوَّنه لوقا"، و"حياة المسيح"، و"مباحث المجتهدين"، و"مجلة لقاء الشبيبة: هل الإنجيل والتوراة محرفان، القرآن والمسيحية"، و"الزواج في المسيحية".

وضمن هذه المجموعة بطاقة بها برنامج اللقاءات الروحية في الإذاعات باللغة العربية، كتب فوقها: "طوبى لمن يسمعون كلام الله ويحفظونه"، من بين الإذاعات المذكورة بأوقاتها وذبذباتها: إذاعة سيشل، وروسيا، ومونت كارلو....

والذي يلفت النظر هو تكرُّر الإرسال، وجَودة الطباعة، وحسن العرض، وسلاسة اللغة، وجمال الصورة....

إضافة إلى الخطاب المغرِي بالسلام، والمحبَّة، والسعادة.... إشارة واضحة إلى أنَّ واقع المسلمين خلاف ذلك...

والذي نعرفه أنَّ إرسال الكتب عن طريق البريد، أو إدخالها من الخارج عن طريق الجمارك، يتعرَّض لمراقبة كثيرا ما تكون صارمة، وقد يستدعي طلبَ الترخيص من وزارات متعدِّدة ...فهل مثل هذه الكتب تتعرَّض للمراقبة؟.

وهل العاملون على نشرها يتعرَّضون للمتابعات، أم أنَّ حرية المعتقد، تشمل هؤلاء، ولا تشمل غيرهم...؟

الله يعلم، إنني لا أملك الجواب، ولكن...

في بيوت اذن الله ان ترفع

يتكرَّر منظرُ احتماء الضعفاء والمعاقين، من الرجال والنساء والأطفال، ببيوت الله تعالى، في أيام الأسبوع، وفي الجمَع أكثر.

ويختلف الناس في تقييم هذه الظاهرة: فمنهم مَن يراها طبيعيةً، ويسوق لرأيه الأدلَّة من الكتاب والسنَّة؛ ومِنهم من يعتبرها مخالِفة للصواب، ويحشر لمذهبه الشواهد والنصوص الشرعية.

أمَّا المفكر المسلم علي عزت بيجوفتش فيجد لها تفسيراً مقاصديا، ومنطقيا، وواقعيا، ويقول: "لأنَّ بيوت الله وحدها تفتح أبوابها لأولئك الذين ليس لديهم ما يعرضونه، أو يبرهنون عليه... أولئك الفقراء في المال والصحَّة... أولئك الذين استُبعِدوا من موائد الاحتفالات في هذا العالَم؛ حيث يُدعى الشخص لاسمه، أو حسَبه ونسبه، أو موهبته، أو علمه. إنَّ المريضَ وغير المتعلِّم يُغلَق أمامه بابُ المصنع أيضا، بينما يُدخَل المتعلّم صحيح البدن. أمَّا في بيوت الله، فإنَّ الفقير والأعمى يمكن أن يقفا جنبًا إلى جنب مع ملِكٍ أو نبيل، وقد يكونان عند الله أفضلَ منه. إنَّ أهمَّ معنى حضاريٍّ وإنسانيٍّ لأماكن العبادة تكمن في هذا البرهان المتكرِّر للمساواة".

ويَجمُل بنا أن نتساءل، تعليقا على هذه المعاني الرفيعة: هل يرتاد ملوكُنا، وسياسيونا، وأغنياؤنا، وعلماؤنا ... بيوتَ الله، ويقفون إلى جنب الفقير والمعاق مواساة لهما، واحتراما لمقامهما؟

أم أنه أريدَ - لأمرٍ ما - أن تكون المساجدُ التي يقصدها الأثرياء غير التي يغشاها الضعفاء؟

وعندما يقصد الوجيه مسجداً، هل يعمل على أن لا يتميز عن أخيه في الملبس والمجلس، وفي الحركة والسكون، أم الأمرُ خلاف ذلك؟

ويحسن بنا - أخيرا - أن نُعلي مساجد الله، بما أعلاها به ربُّ العزَّة في قوله: "في بيوت أذن الله أن ترفع، ويُذكر فيها اسمه . . .".

مُصلّى المطار

تردَّدتُ كثيراً في الأسلوب الذي أعرض به هذا الموضوع، واستقرَّ الرأيُ أخيراً على أن أخاطب في مسؤولي الخطوط الجوية الجزائرية ضميرَهم، وأحرِّك فيهم حبَّهم للخير والصلاح؛ فإنَّهم واللهِ لا يعدمون خيراً ولا صلاحا.

أخي المسؤول، إن أشدَّ ما راعني وأفزعني يوم تخطيت مصالح الجمارك، وأحسستُ بالراحة والطمأنينة في القسم الدولي، ثم أسرعت لأصلي صلاة الفرض في وقتها... أشدُّ ما راعني وأفزعني أنني بحثتُ عن مصلّى فلم أجد، بل وجدته مُغلقا بأقفال مُحكَمة، وبين جنباته دكاكين فاخرة، بل وخمَّارات تبيع أغلى أنواع الخمور ...

فما كان مني إلاَّ أن آويت إلى ركن ركين، وفرشتُ منشفتي، ثم صلَّيت ركعاتي كالغريب .. وبعضُ العيون ترمقني في إشفاق أو سخرية...

أخي المسافِر، لو أنَّك طالبتَ بمصلاك مرَّة، ومرَّات، لَما أغلِق أمامك؛ ولكنَّ الكثير من المسافرين يفضِّلون تأخير الصلوات عن وقتها، وبعضهم يتركها في مثل هذه الحالات ويصليها في مناسبات...

أخي القارئ المُنصف، لندعُ إلى اتخاذ قاعات للعبادة في الأماكن العمومية. فبالصلاة وحدها يستقيم أمر ديننا ودنيانا، ومعاشنا ومعادُنا...

... فولَدَ فاراً

تتبَّعتُ باهتمام شديد الحصَّة التي أعدَّتها التلفزة الوطنية بالتنسيق مع وزارة الصحَّة، بمناسبة اليوم العالمي لمحاربة المخدِّرات، ولا شكَّ أن الكثير من الجزائريين قد أولوْها العنايةَ اللازمة؛ لأنَّ الموضوع جديرٌ بالاهتمام، ولأنَّ الحصَّة كانت مُحكمةً، ومحضَّرة تحضيراً جيداً.

ولقد اتفق الحاضرون في آخر المطاف على أنَّ الحلَّ يكمن في توجيه الشباب إلى الرياضة، وبناءِ المركَّبات، وقاعات التنزُّه والترفية.. ثم في الاعتناء بالمصحَّات المتخصِّصة في مداواة المصابين من الأطفال والشباب.

وكنتُ أنتظر، مثل غيري من الجزائريين، أن ينال الجانبُ الدينيُّ حظَّه من الموضوع، غير أنَّ حضوره تقزَّم في مشاركة وزير الشؤون الدينية، وفي كلماته المحتشَمة، غير الواضحة بل والمبعثرة ...

فلم يستطع - ولا أخالُه يستطيع - أن يخاطِب ضمائر المسلمين الجزائريين، ولم يتمكَّن - ولا أظنه يقدِر - أن يحرِّك الروح الدينية لدى الشباب الجزائريِّ المسلم؛ ذلك أنَّه فضَّل الديماغوجية على الصفاء والصدق... فضَّل السياسة على القيم... فأعلن، وبدُون تردُّد، أنَّ الإرهاب هو السبب في "الإدمان"!

وفاتَه أنَّ سبب "الإرهاب والإدمان"، على السواء، هو ضُعف الوازع الديني... وأنَّ ضعف الوازع الديني أساسُه ضعفُ وزارة الشؤون الدينية، وتقاعسها عن مهمتها المقدَّسة... وسرُّ ذلك كلِّه يكمن في إسناد مثل هذه المهمَّة الخطيرة إلى غير أهلها..

وعن مثل هذه المواقف المؤسفة يقول المثل السائر:

تمخَّض الجبل، فولد فاراً ...

لتكونوا شهداء على الناس

ظاهرة نزوح إخواننا الأفارقة إلى الجزائر، بسبب الحرب، أو سعيا وراء الرغيف، أو بحثا عن الوظيف، أو ابتغاء الهجرة إلى أوروبا... ظاهرةٌ برزت بوضوح في هذه السنين الأخيرة، تشهدها بعض المدن الجزائرية، بخاصة في الصحراء، أكثر من غيرها.

وبغضِّ النظر عن كونها مقبولة أو غير مقبولة، تحمل الخير أو تنطوي على الشرِّ، نودُّ أن نعرضها من نافذة دعوية، ونقيِّمها من وجهة نظر إيمانية؛ فنحن نعلم أنَّ بعض هؤلاء الأفارقة مسلم، وبعضُهم الآخرُ مسيحيٌّ، وقد يكون مِن بينهم من يدين بدين آخر، أو لا يدين...!

وأمام هذا الوضع، ألاَ يحقُّ بنا أن نبلِّغهم دين الله تعالى، وندعوَهم إلى سَعة الإسلام، فنُسهم في هدايتهم.. لقول الرسول الأعظم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، "لأنْ يهدي الله بك رجلا خيرٌ مما طلعت عليها الشمس"؟.

إنْ فعلنا نِلنا أجر الدنيا والآخرة، وإن لم نفعل فما بلَّغنا رسالات الله تعالى، وسنحاسَب بين يديه يوم البعث والنشور...

بعيدا عن العصبية المذهبية، وعن الأغراض الحركية والسياسية، ينبغي على المسلم في هذا الوطن، أن يهتمَّ بأمور الدين في أسمى صورها، ويَصدر عن رؤية بعيدة للأمور، غيرَ الرؤية الضيقة التي تَسِم بعض الحركات الدعوية في عالمنا الإسلامي.

تبارك ربنا القائل: "وكذلك جعلناكم أمَّة وسطا، لتكونوا شهداء على الناس، ويكون الرسول عليكم شهيدا"...

فيا أمَّة الوحي، كوني أمَّة وسطا.. أوْ لا تكوني..

تمنّوا...

رُوي عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنّه جلس يومًا مع بعض أصحابه في دارٍ رحبة، فقال لهم؛ "تمنّوا".

قال أحدهم: "أتمنى أن يكون لي ملءُ هذه الدار دراهم من فضّة، أنفقها في سبيل الله". وتمنّى آخرُ أن يكون له ملؤها ذهبا، ينفقه في سبيل الله.

أمّا عمر رضي الله عنه فقال، "لكنّي أتمنى ملءَ هذه الدار رجالا مثل أبي عبيدة ابن الجراح، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، فأستعملهم في سبيل الله".

لو أننا جمعنا الجزائريين والجزائريات - اليوم - في صعيدٍ واحد، ودعَونا كلّ واحد منهم إلى أن يتمنّى أمنيته في حقّ وطنه... تُرى كيف ستكون الإجابة؟

أيها القارئ الوفي المخلص، تمنَّ، وادعُ الله أن يحقّق أمنيتك، مخلصا له الدعاء والسؤال، ومتذللا لجلاله وعظمته؛ أمّا أنا فأتمنى، أن ينقص كلّ جزائري وكلّ جزائرية من الكلام، ويزيد في العمل.

أتمنى أن توجّه خيرات البلاد وجهتها المشروعة، ولا تنفق في السفاسف والتفاهات.

أتمنى أن يُقال للمحسن أحسنت، وللمسيء أسأت.

أتمنى أن يكون الإعلام بيد مخلصين نزهاء، يريدون لوطننا الخير والصلاح.

بل، وأتمنى أن يرجع الناس إلى دينهم الحنيف، دون إفراط ولا تفريط.

أتمنى - باختصار - أن يُبعث في هذا الوطن رجال من طينة الفاروق، فيتمنوا ويحقّق الله أمنيتهم وأمنيتنا...رجالٌ يخطّطون وينجزون وعودهم...

أولئك الرجال... ألا إنَّ الرجالَ في العالمين قليل.

روحُ المدن

إذا لم يكن هنالك روحٌ للإنسان، فِلمَ إذن نحرص على أن يكون للمدن روحا؟

لا شكَّ أنَّ مدنَنا باتت بلا روح، بلا طعم، بلا لون.. يشبه بعضُها بعضا، في المداخل والمخارج، في المباني والساحات، في الشقق والمحلات، في الأسماء والمسمَّيات... لا تجد فيها جمالا، ولا شخصية، ولا إبداعا، ولا أصالة... وكأنَّ المهم أن ترفَع العمارات، ويخرَّب أصحاب العمارات..

رحم الله أجدادنا، كانوا يبنون مساكنهم بأيديهم، وكانت مسخَّرة لهم، حسب ذوقهم، ووفق طبيعتهم، تعبِّر عن آلامهم وآمالهم... يجدون فيها الراحة والطمأنينة والسكينة، ويتعلقون بها تعلقهم بمعاني الحياة...

هي من صُلبهم ولِدت، لا من أرحام غيرهم دُفِعت ثم وئدت؛ ولطالما كان حرصهم شديدا على أن يسمُّوها بأحسن الأسماء وأليقِها.

أمَّا اليوم، فنحن نسكن الشقة "رقم كذا"، في الشارع "رقم كذا"، وفي الحي السكني "كذا مسكن" ... كلُّها أرقام أريدَ لها أن تكون فارغةً، ليس فيها عقل ولا روح..

فهل هو فقدانٌ للحضارة، أم تواطؤ على استئصال الثقافة والقيم والجمال... في وطني؟

خذوا حذركم

"لقد قَتلت السيارات منذ اختراعها عددا من البشر أكبر من عدد القتلى في جميع الحروب التي جرت في القرن العشرين"!.

هذا ما صرَّح به الخبير في الطرقات "نوبارت تيمان" في مؤتمر دولي حول "أمن الطرق"...

لا شكَّ أنه محقٌّ في تقديره، ولنا نحن أن نتساءل:

مع الدخول المكثف للسيارات السريعة، من كلِّ نوع، ومن كلِّ طراز. ومع توقف عملية ترميم وتحسين الطرقات في بلادنا، وتدهورها يوما بعد يوم. ومع قلَّة الوعي وكثرة الطيش لدى الشباب السائق لأفخم السيارات.. نتساءل:

كم هي نسبة ضحايا حوادث المرور- ببلادنا- إلى نسبة الموتى طبيعيا في كل عام؟

وأين هي القوانين الزاجرة للتقليل من تلكم الحوادث يوميا؟

وهل للإعلام والتلفزيون -بالخصوص- دور في هذا الشأن؟ أم أنّ الإعلام في بلدي منشغلٌ بما يضمن الموت المادي والمعنوي للمواطن الجزائري، معرِضٌ عمَّا يحقق له الحياة والسعادة والرفاه؟

أخي، كن حذراً، فقد تكون أو أكون أحدَ هؤلاء الضحايا، ويتمثل الحذر في أمور أبرزها:

- ذكرُ الله قبل الركوب، وعند الركوب، وبعد الركوب.
- أخذُ الإجراءات اللازمة، من عدم الإسراع، وصلاحية السيارة، وعدم مخالفة قوانين المرور.
- الحرصُ على أن تكون على وضوء وأنت تسوق سيارتك، وإذا متَّ على أن لا تموت إلا مسلما، غير متلبس بمعصية الله تعالى.

وادعُ الله دوما: "اللهم ارزقنا حسن الخاتمة".

الممكن والمستحيل

سأل الممكنُ المستحيلَ: أين تقيم؟

فأجابه: في أحلامِ العاجزين.

هكذا قال الشاعر طاغور، وهكذا ينبغي أن يعتقد الشاب الجزائري، وهو يدخل مدرَّجات الجامعة، أو يستعدُّ للتوظُّف في شركة، أو يرتقي في سلَّم المسؤوليات...

لينبِذ العجز، وليخلع من قاموسه معنى المستحيل؛ فإنَّ الأمر جدٌّ، وطينة الوطن التي بها صلاحه هي الشاب: فإن صلُح صلُحت، وإن فسُد فسُدت..

أخي الشاب المسلم، أنا وأنت ونحن، جميعُنا يعرِف أن ثمة عراقيل ومصاعب، وكلُّنا يعي ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه... ولكن، مَن لهذا الوطن المكلوم، ومَن لهذا الجيل المهزوم، إذا لم يقُم منه مَن يقوده بإخلاص ووفاء، وتفان وذكاء؟!

وقديما قال المثل الحكيم: "الرائد لا يكذب أهله"، فلا تكذب أهلَك أخي الشاب؛ وإنما الواجب عليك أن تتحدَّى المصاعب.. فستُكتب لك ولوطنك الحياة لا محالة... وحينها فقط تكون صديقا للممكن، عدواً للمستحيل، وتفوز في الدنيا، وتنال الآخرة، وما ذلك على الله بعزيز، ولا من عزائم الرجال ببعيد.

حتى لا يحيق علينا القول

مررتُ على متن سيارة - رفقة صديق لي - بجوار ملهًى ليليٍّ، أمامه العشراتُ من السيارات الفخمة، من كل نوع ومن كل جيل...

فسألني صديقي مُداعبا: "هل يجوز لي شرعًا أن ألج في يوم من الأيام هذا الملهى، لأعرف ماذا يقع داخله، من بابِ: يُعرف السم ليتَّقى؟ !".

قلت له مُجاريا: "نعم بالطبع يجوز لك، وستكون مأجورا إذَا فعلت... ولكن شريطة أن تضمَن لي أنَّك ستأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، إذا دخلته !!!"

فقال لي، وهو مجدٌّ فيما يقول: "لا ولن أفعل؛ لأنَّني سأتعرَّض لأقسى أنواع العقوبات، ولن يفيد أمري ولا نهيي في شيء".

فقلت له حينها، وأنا صادق فيما أقول: "انظر كم ضاع من حقٍّ في هذا الوطن، وانظر كم ظهرت من فاحشة على مرِّ الليالي والأيام". وتلوت عليه قوله تعالى: "وإذا أردنا أن نُهلك قرية أمرنا مُترفيها، ففسقوا فيها، فحق عليها القول، فدمرناها تدميراً"... ألا تتأمل هذه الفاءات المتوالية، ففسقوا، فحق، فدمَّرنا... وليس أسرع عند الله من حلول النقم، وزوال النعم"

أخي القارئ، تُرى هل نحن في مرحلة "أمَرْنا مُترفيها"، أم في شوط "ففسقوا"، أم أنَّ القول "قد حاق بنا"، وأنَّ الدمار قد نزل بأرضنا.

فلندعُ الله سويًّا أن يرفع عنَّا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يبعدنا وذريتَنا عن المعاصي والموبقات ما برز منها وما خفي، وأن يهدي الضالين من بني جلدتنا إلى الصراط المستقيم.

إذا وعد أنْجزَ...

ثقافة المواعيد تحمل سرَّ النجاح، واختلالُها اختلال للحضارة كلِّها... فثمَّة قاعدة مطَّردة لا تختلف، وهي: أنَّ الأمم والأفراد الذين يضبطون مواعيدهم يحققون أهدافهم في الحياة، والذين لا يتحكَّمون فيها يخسِرون تلك الأهداف، ويقعون في دوامة من الاعتبارات والمتاهات والمشاجرات.. لا قاع لها.

وفي هذا ينصح جورج "ديفيد كيفر" منسِّقي الاجتماعات، بقوله: "والبدء في الوقت المحدَّد يعتبر أوَّل اختبار لسيطرتك، وهو يضع توقُّعا شبه واعٍ حول مقدرتك على الأداء خلال الاجتماع، فإن لم يكن بإمكانك القيام بأوَّل شيء قلت بأنك ستفعله (البدء في الوقت المحدد)، فلماذا تؤخذ قيادتك على محمل الجد؟"

هناك توجُّهٌ دوما لوقف الاجتماع لحين وصول بعض المتأخرين، فلا تستسلم لذلك، فحين تبدأ في الموعد المحدَّد مرَّة فإنَّك ستدهَش كم من الأشخاص سيصلون بسرعة في الوقت المحدد"؛ ثم إنَّ الاجتماعات التي تبدأ في الوقت المحدَّد تنتهي في الوقت المحدَّد، أيضا.

أخي المسؤول، مسؤول الاجتماعات في بلدي، ما مدى وعيك بهذا المعنى العميق، فهل أنت من المحترمين للمواعيد، أم أنَّ ظاهرة التأجيل والتماطل تسيطر على تصرفاتك..؟! احرص إذن على التغلب عليها، وستنال بذلك رضى الله أولا، وتنفي عن نفسك خصلة من خصال النفاق ثانيا، وتضمن لاجتماعاتك ولمشاريعك النجاح ثالثا...

ثقافة المزبلة

منذ بضع سنوات لم يكن المواطن الجزائري ينحني للمزابل، ولم يكن حريصا على تجميع ما من حقه أن يُرمى مع القُمامات. إلى أن دخلت الشركات الكونية في وطننا، فبرز اسمان كبيران: "كوكا كولا" و"بيبسي كولا"، وهما وجهان لعملة واحدة تسمَّى المذلةَ باسم الاقتصاد، والابتزازَ باسم حرية التجارة.

ولا أعرف الطرق التي تستعملها هذه الشركات للإشهار في الدول المتطوِّرة قصد زيادة المبيعات، غير أنَّ الطريقة التي استُعملت في الجزائر تحمل في طياتها الإذلال... وبها صار الجزائريُّ بكلِّ مستوياته، وبكلِّ أعماره، يلهث وراء "غطاءِ الكوكا"، ليحصل على مقوَد لدراجته، أو ينحني أمام "غطاءٍ لبيبسي"، لينال إحدى الجوائز الخمسمائة ألف...

فصرنا نرى الناس في المقاهي يلاحقون "الأغطية" تحت الطاولات، وفي القمامات الراقية يبحثون الحظَّ السعيد... فتكوَّنت لدينا ثقافة المزبلة، ونسينا الكرامة والنخوة والعزَّة.. الجزائرية..

وسؤالي هو: هل يحقُّ لمن يسجد لله كلَّ يوم خمس مرَّات أن ينحني "للكوكا والبيبسي" مرَّات ومرَّات...

أمَّا أنا فأفضِّل أن أتمتع بالمشروب الوطني الراقي "حمود بوعلام"، أو أهجر كلَّ المشروبات الغازية، وكفى بالماء نعمة! وأعِد أنني لا أنحني لغير الله ما حييتُ،

وهكذا حال كلِّ من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد..

نصيحة الإمام الأعظم لطلبة العلم

تحرص الأممُ المتحضِّرة على توفير الأموال الضرورية لطلبة العلم، فتغدق عليهم من خزائنها ما يضمن لهم كرامة العيش، وخلوَّ البال، للبحث والإبداع؛ وبهذا فقط سَمت في الجوزاء وعانقت العلياء...

أمَّا الدول التي "تمشي مكبَّة على وجهها"، فتفضِّل السخاء على الجواري والغلمان قديما، وعلى الفنَّانين والفنانات - عفوا الفتانين والفتانات- حديثا.

ومَن يُلقي نظرة على برنامج الحكومات القائمة والبائدة في وطننا، يعرف أنَّ العلم لا يزال موطن شك وريبة من مسؤولينا المحترَمين، وأنَّ اللهو واللعب هما من الثوابت الوطنية التي تسخَّر لها الملايين من الدينارات-بل الدولارات-

فهل ستكون الحكومة الجديدةُ أحسن حالا في هذا المجال؟

نأمل ذلك.

وفي انتظار تحسُّن الحال، يكفي أن ننصح المشتغلين بالعلم، بما نصح به الإمام الأعظم أبو حنيفة تلميذَه أبا يوسف، كما جاء في كتاب "غمز عيون البصائر" لأحمد بن محمد الحموي، يقول: "ولا تتزوَّج إلاَّ بعد أن تعلم أنك تقدر على القيام بجميع حوائجها، واطلب العلم أولا، ثم اجمع المال من الحلال، ثم تزوَّج، فإنَّك إن طلبت المال في وقت التعلم عجزت عن طلب العلم، ودعاك المال إلى شراء الجواري والغلمان، وتشتغل بالدنيا والنساء قبل تحصيل العلم، فيضيع وقتك، ويجتمع عليك الولد، ويكثرعيالك، فتحتاج إلى القيام بمصالحهم، وتترك العلم، واشتغل بالعلم في عنفوان شبابك، ووقت فراغ قلبك وخاطرك، ثم اشتغل بالمال ليجتمع عندك، فإنَّ كثرة الولد والعيال يشوِّش البال، فإذا جمعت المال فتزوَّج".

ثم يواصل الإمام نصحه مؤكِّدا على ضرورة الصبر على التعلُّم، حتى وإن أدبرت الدنيا عن طالب العلم: "وإن بقيت عشر سنين بلا كسب ولا قوت فلا تعرض عن العلم، فإنَّك إذا أعرضت عنه كانت معيشتك ضنكا".

يا حماة العلم، صبرا جميلا، فإنكم قريبا ستحمدون

السرى، وتنالون ما فوق الثرى، وما تحت الثرى.

مملكة الذئاب

مما أنشد الرضا، ورواه الريان بن الصلت:

يعيب كلهم زمانـــــًا ❖ وما لزمـــاننا عيـب سوانا

نعيب زماننا والعيب فينا ❖ ولو نطق الزمـــان بنا هجانا

وإنَّ الذئب يترك لحم ذئب ❖ ويأكل بعضُنا بعضا عيانا

لبسنا الخداع مسوك طيب ❖ فـــويل للغريب إذا أتـــانا

دخلتُ مملكة الذئاب يومًا، فوجدتها عكسَ ما عُرف عنها، يحكمها قانون، وتضبطها شريعة. اللعبةُ فيها واضحة، والضعيف منها محميٌّ. وإن دهمهم عدوٌّ كانوا جميعا ضدَّه، أو أتاهم صديق أكرموا مثواه، وأعلوا مقامه...

ثم سألتُ حكيمها: هل زالت صفة "الذئبية" منكم؟

فأجابني قائلا: "نعم، ولكنها لم تذهب أدراج الرياح، بل تلقَّفها بعض من بني آدم، فصاروا مهزلة الخلق، ومحلَّ سخط الخالق "إن هم إلاَّ كالأنعام بل هم أضل".

ثم استفسرت: وهل نال جزائرَنا منها نصيب؟

فأطرق عينيه، وتأسَّف متحسِّراً، ثم سألني: هل استفحلت الرشوة في مملكتكم؟

قلت: نعم، بل وتحوَّلت إلى قاعدة شذَّ مَن خالفها.

قال: فذلك أكلُ اللحوم، وتلك في مذهب "الذئبية" أسمى الصور، وأبلغ المعاني.

وما كان مني إلاَّ أن غادرت المقام، داعيا الله أن يرفعها عنا، وأن يعيد إلينا الرحمة.. وإلى الذئاب "ذئبيتها".. فكل ميسر لما خلق له.

دعوها فإنّها منتنة!

تغلغلت العرقية والعصبية في كلّ جانب من جوانب حياتنا اليومية؛ فأصبحنا قبائل بدائية، يحكمها قانون بدائيٌّ؛ ثم استشرى الداء ليقتحم المجال العلمي، بله السياسي.

وقد يحتاج الواحد منّا إلى بطاقة تعريف لا يعني فيها الجانب الشخصيَّ، وقد تطلب منه وثائق لا قيمة لما تحمله من معلومات... قد يحتاج إلى بطاقة تعريف ووثائق تبرز بوضوح انتماءه العرقي، ولونَه الفكري، ومنطلقه السياسي... ورقمه في سلسلة المحسوبية والاعتبارية والعصبية.

مثل هذه الحال غير الطبيعية، من شأنها إهلاك الحرث والنسل، وإفساد البلاد والعباد؛ ولهذا نهانا رسول الرحمة عليه الصلاة والسلام عنها، فقال: "دعوها فإنّها منتة".

فهي ليست متعفِّنة وفاسدة في ذاتها فحسب، بل يتعدَّى فسادُها إلى الإضرار بالغير، جرَّاء تلكم الروائح الكريهة المنتنة التي تنشرها.

فرجائي من كلِّ جزائريٍّ غيور أن يعتزَّ بانتمائه دون تعصُّب ولا عصبية، وأن يعمل على نشر ثلاثية "المعرفة، والتعارف، والاعتراف" بين أفراد دين واحد، ووطن واحد، وتاريخ واحد.

التجرّد

في مقطوعة شعرية لفيلسوف الشعراء، وشاعر الفلاسفة، محمد إقبال، يقول:

ليس التجرُّد أن تُقيمَ على الطوى ❖ وقواك خائرة، وبيتك مغدم

فمن التجرُّد ما يطيح بأهله ❖ ومن التجرُّد ما يعزُّ ويُكرم

نبتت في بعض شباب الإسلام نابتةُ سوء، تُعلي من شأن الفقر، وتدني من قيمة الغنى؛ تشتُم المبادرة، وتستكين إلى الوقار المكذوب..

ولقد غاب عن مثل هؤلاء نبأ القرَّاء، الذين فضَّلوا التوأدة المفرطة، وساروا في الطرقات بهدوء قاتل، فقالت لهم أمُّهم عائشة – رضي الله عنها – يومَها: "أمنتم علينا ديننا أماتكم الله"!. ثم أردفت: "رحم الله عمر، كان إذا تكلَّم أسمع، وإذا ضرب أوجع، وإذا مشى أسرع..."

فماذا جنى الإسلام من مثل هؤلاء، الذي يعتقدون أنَّ التعبُّد والتنسُّك حِرفة، وأنَّ الاسترزاق والضرب في الأرض لعبٌ ولهو..

فوالذي نفسُ محمَّد بيده، لم يؤتَ الإسلام إلاَّ من مثل هذه الفهوم الضيِّقة، ومن الهمم المهزوزة، والأجساد المهلهلة، ومن التجرد المغلوط..

المرأة بلا عمل

من تمام إهانة المرأة في وطني، أنَّك إذا ذهبت إلى المصالح الإدارية، وطلبت وثيقة من وثائق الحالة المدنية، وصادف أن كانت أمُّك أو زوجك ربّة للبيت، فإنَّ تلكم الوثائق يكتب فيها بخط غليظ، ودون أي ريب: "بلا عمل".

فهلاً راجعتْ الإدارة الجزائرية هذا الأمر، وأعادت للمرأة عزَّتها، وكتبت في وثائقها: "ربة البيت" عوض "بلا عمل".

وهلاً وضعنا أيدينا في صدورنا، وفكَّرنا مليًّا فيما يصيب تلكم المرأة من إحباط، وهي تطالع جواز سفرها، أو إحدى وثائقها الأخرى....

ولا شك أنَّ المسؤولية تقع على الجميع، وعلى من أوتي نصيبا من العلم الشرعي أكثر...

فلننبذ الغفلة، ولنحم ديننا ووطننا من الانحرفات والخرافات والضلالات... وإن لم نفعل تكن فتنة في الأرض وفساد كبير.

وليكن ذلك جماعيا

"فإنَّ المسلك الفردي إن أغنى حينا، فهو فاشل في أغلب الأحيان، لاسيما عندما يعم البلاء، وتترادف الآلام".

زعماء العرب

في حوار أجرته إحدى القنوات الفضائية مع زعيم من زعماء المقاومة والانتفاضة في فلسطين، سأل الصحفي هذا الزعيم: "ماذا تنتظرون من العرب؟ هل تريدون منهم إعانات مادية، أم معنوية، أم ماذا؟"

فأجابه ذلكم الرجل الميداني المجاهد: "نحن نعلم علم اليقين أنَّ العرب اليوم في قبضة أمريكا، وأنَّ أمريكا رهن إشارة إسرائيل... وأنهم لا يملكون أمرهم، فكيف يملكون أمرنا؟"

ثم استطرد قائلا: "لا نسأل العرب إلاَّ أموالا، نشتري بها السلاح والعتاد الحربي، ضمانا لنجاعة المقاومة وفعالياتها، ونحن لا نريد أن تكون هذه الأموال عطايا وهبات تسلَّم للسلطة، ثم يكون مآلها التبذير والضياع، وإنما نريدها موجَّهة إلى أيدي زكية، ووجوه طاهرة....إلى أطفال وأمَّهات وصبايا عاهدوا الله على الشهادة أو الانتصار".

ثم استدرك هذا الزعيم العبقري فقال: "فقط نريد من الحكَّام العرب أن يسجِّلوا ما يقدِّموه لنا في دفتر الديون، وسنردُّها لهم يوم نسترجع حريتنا..."

كان هذا قبل لقاء القاهرة، وقدَّر الله أن يعقد اللقاء بين زعماء سلبوا كلَّ معاني الزعامة، زعماء إذا نزعت القشرة منهم وجدت اللب أمريكان... فقرَّروا أن يندِّدوا، ويسدِّدوا مبالغ للسلطة الفلسطينية، كيما تدفع بها مصارف الرحلات (والأوتيلات)، والسهرات...

هكذا يا حكام العرب كونوا، أولا تكونوا...

سلطة الاكتئاب

يقرِّر علماء النفس أنَّ من أعراض الاكتئاب: أن تجد الشخص يقضي يومَه جالسا في مكانه، دون أيِّ نشاط إيجابيٍّ، أو تلقاه منهمكا - في أحسن الأحوال- في نشاطات سلبية منفردة، لا تتعدَّى مشاهدة التلفزيون، والنوم، وقضاء بعض الحاجات الرئيسة كالأكل والشرب والتسوُّق... أمَّا النشاطات الحيوية كالعمل والعبادة فإنها تبدو عسيرة عليه، ولا يؤدِّيها إن أدَّاها إلاّ متثاقلا.

والذي يحيِّر العقل أنَّ الكثير من الجزائريين - مثقَّفين وغير مثقفين - يقعُون في هذا المرض الخطير، لأسباب معقولة أو غير معقولة، ولا يصنَّفون ضمن المكتئبين، بل يُمنحون أحيانا مناصب وظيفية راقية؛ فتجدُهم يدخلون مكتبهم في ساعة متأخِّرة، ويقطعون العمل بعدَّة وجبات و"قهوات"، ويسمُرون الليالي الطوال في دور اللهو والقمار وأرقى الحانات...

ثم بعد ذلك، نأمل أن ينشط اقتصادنا، ويتقدَّم وطننا، ويزدهر شعبنا...

كلا، ففي تقديري - وهو تقدير كلِّ عاقل- إنَّ أسباب النصر لَمَّا تتحقَّق بعد، وبالتالي لا تزال ثقافة الاكتئاب تهيمن علينا، مِن خلال بعض مسؤولينا "ولتعرفنَّهم في لحن القول".

أبالحرام نعالج مرضانا..؟

نحن نعيش - لا محالة - عصرَ المفارقات؛ فزماننا زمان تعالت فيه الجيف، وسمت فيه الزعانف، واختلط على الناس الحقُّ بالباطل، فصاروا لا يميِّزون بين الغثِّ والسمين، ولا بين الحلال والحرام، إلا ما رحم ربي.

ونحن نتساءل ببداهة: ما حكمُ المال الذي يُجمع من حفلات راقصةٍ، وسهرات سافرةٍ، بدعوى تحويله لمداواة مرضى السكري؟

فتجيبنا مصادرُ الفقه بما لا يدع مجالا للشك: إنَّ اللهو والغناء إذا صاحبه منكر، أو أدَّى إلى فتنة، أو إلى محرَّم، أو صدَّ عن واجب، فهو حرام باتفاق العلماء؟ وإذا خلا من ذلك تراوح الحكم بين الحرمة والكراهة.

أمَّا في شأن احتراف الغناء وأخذ الأجرة عليه، فقد ذهب الحنفية والحنابلة والإباضية، وهو ما يفهم من مذهب المالكية إلى أنَّ اتخاذ الغِناء حرفة يرتزق منها حرامٌ، وذهب الإمام الشافعي في "الأم" إلى أنَّ المرأة أو الرجل يغنِّي، فيتخذ الغِناء صناعة، يؤتى عليه ويأتي له، ويكون منسوبا إليه مشهورا به معروفا، لا تجوز شهادة واحدٍ منهما، وذلك أنه من اللهو المكروه الذي يشبه الباطل، وأنَّ من صنع هذا كان منسوبا إلى السَّفه وسقاطة المروءة.

ويقول الإمام الحطاب، في كتابه "مواهب الجليل في شرح مختصر خليل: "ولا خلاف في حرمة أجرة المغنية والنائحة".

فسؤالنا: كيف نسمح لأنفسنا أن نطلب الشفاء من الله تعالى بالمعصية، أليس هو الشافي؟ أم أنَّ من يتخذ مثل هذه القرارات - غير المسؤولة - لا يأبه بالحرام ولا بالحلال، ويطلب الشفاء من عند غير الله تعالى؟!.

دعوتنا لكلِّ مريض أصيب بداء السكري، أن يطلب ما عند الله، ويترك ما يأتيه مِن مثل هذه الحفلات الماجنة، التي يطبِّل لها الإعلام ويزمِّر... والله ندعوه أن يشفيه، ويرزقه الأجر في الدنيا، والجنة في الآخرة.. ونسأله أن يهدي قومنا فإنهم لا يعلمون.

من قال حقوق الطفل؟

نحن نعيش هذه الأيام هالة من "المناداة الظرفية" بحقوق الطفل في الجزائر، وللأعلام شطحاته في الاحتفال بذكرى الطفل في بلدي...

لا أحد من العقلاء ينكر ما للطفل من حقوق، ولقد كانت الشريعة الإسلامية (قرآنا، وسنة، وفقها) السبَّاقة إلى ضبط هذه الحقوق، والعمل على تجسيدها في أرض الواقع، ثم جاء الغرب في القرن الماضي ليدعو إلى حماية هذه "الحقوق"، واليومَ يرقص"المفكِّر العربي" على نغمات الدعوة الغربية، متجاهلا- إلا من هدى الله- أصولَ ما يدعو إليه في دينه الحنيف.

ولقد قالوا: "حق المواطنة ...." وقلنا: "حق المواطنة...."

وقالوا: "الحق في التعلم..." فقلنا: "الحق في التعلُّم..."

وقالو: "الحق في المعاش..." وقلنا: "الحق في المعاش"

ثم قالوا: "الحق في التدين أو عدم التدين...." فقلنا: "الحق في عدم التدين...!!!"

واتخذ البعض منَّا هذه الدعاوى مصدرا للرزق، وسببا لنيل رضى "أسيادهم الإفرنج والأمريكان"... وحاربوا بها كل أصيل وجميل... باسم: حقوق الإنسان؟

إخوتي، أليس أوَّل حقٍّ للطفل هو: الحقُّ في تلقِّي كلام الله تعالى غضًّا طريا...؟!

أوليس الحقُّ في عدم استثارة الشهوات -بالصور العارية، والأغاني الفاضحة، والإعلام العاهر- من أوكد الحقوق...؟!

ألا يجب علينا أن نحبب لأطفالنا - ذكورا وإناثا - قيمَهم، وتاريخَهم، وحضارتهم؟!

بلى، هذه من أوجب الحقوق؛ لأنَّها تضمن لنا العزَّة في الدنيا، ورضى الله تعالى، وجنَّة الخلد، يوم القيامة...

إننا يوم تخلَّينا عن هذه الحقوق، أورثَنا اللهُ الذلَّة في الدنيا، فصرنا كالذي وصفه الله تعالى في محكم تنزيله: "أبكمُ، لا يقدر على شيء، وهو كَلٌّ على مولاه، أينما يوجِّهه لا يأت بخير".

ولقد أوحى الله إلى الأرض يوم خلقها: "مَن خدمني فاخدميه، ومن خدمك فخدِّميه، فخدِّميه، فخدِّميه"...

ماذا عن جائزة رمضان؟!

إذا جاء رمضان، فُتِّحت أبواب الجنة، وغلِّقت أبواب النار، وصفِّدت الشياطين - أي رُبطت وشدَّت بوثاق -.

هذه حقيقة ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، غير أننا على يقين أنَّ شياطين الإنس لا تصفَّد، وإنما يقصد الرسول الكريم شياطين الجن؛ لأنَّ شياطين الإنس في العالَم العربي تزداد نشاطا في رمضان، وتسعى جهدها لصدِّ الناس عن فضل الصيام، وتحرص كلَّ الحرص على أن يُحرموا التوبة والغفران، ويخسروا العتق من النيران.

ومن هؤلاء الشياطين ناس يعملون في الإعلام المرئي - من مختلف القنوات -، يَجتهدون كلَ الاجتهاد أن يقيِّدوا الناس أمام التلفاز - صباح مساء - بدعوى منحهم مبلَغا من المال زهيداً، بالدنيار أو بالدولار، فيسمُّون ذلك بهتانا وإثما: "جائزة رمضان المعظم"... وكذَبوا.

فلو وعى هؤلاء، ووعى الناسُ جميعا، لعلموا أنَّ الذي يخسرونه جراء هذه الجوائز الزائفة، يفوق بملايير المرَّات ما يربحونه - لو ربحوا- في "جائزة رمضان"..

فالله تعالى يقول، وقوله الحقُّ والصدقُ: "كلُّ عمل ابن آدم يضاعَف، الحسنةُ عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلاَّ الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، يدَع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، للصائمِ فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه". ولا يكون هذا الجزاء إلاَّ لمن صام حق الصيام، واجتهد في القيام، وترك شهوته لأجل الملك الديان، وأغلب الإعلام العربي شهوة بل شهوات.

فهل بعد هذا الحديث القدسي، يفضِّل الواحد منا الجلوس في داره، أمام مذياعه أو تلفازه، يراقب فلمًا سافراً، أو يصفِّق لمغن عاهر.. يهجر المصليات والمساجد، ويعرِّض صومه للمهالك، بدعوى أنه قد يفوز بجائزة رمضان !؟

فلنتق الله في ديننا، ولنبتغ ما عند ربنا، ولنعلم يقينا أنَّ أعظم جوائز رمضان على الإطلاق، "فرحةٌ يوم لقاء الله".. تلك هي الجائزة ورب رمضان...

سلطان الغضب.. في رمضان

المسلم في شهر رمضان على موعد مع الرحمات والبركات، وصومُه إيذانٌ منه بالتحرُّر عن كل شهوة قد تملك عليه أمره، وتهيمن على تفكيره، فتتركه عبدا لها، يحيا بها ولها، ولا يصبر عنها طرفة عين، وقد ينفق الأموال الطائلة في سبيلها، أو يضحِّي بالأهل والأولاد بسببها..

قد تكون هذه الشهوة من قبيل الحلال، أو تكون من صنف الحرام... فبمجرَّد دخول شهر الصيام يُقلع عنها، ويستغفر الله عن الحرام، عازما على أن لا يعود إليه أبداً..

غير أنَّ الوضع في عشيات رمضان، بمدننا، يؤذن بالخطر، فلا يكاد المرء يرتاد الحافلات، ويغشى الأسواق، ويمشي في الطرقات... حتى يصادف شجارا عنيفا، وسبًّا وشتما، ولكما وركلا، بل وعضًّا بالأضراس، وضربا بالسكاكين والحجارة والعصي..

وكأني ببعض الناس في رمضان يتحولون إلى آلات للشجار، يتسببون في "البلاء" ويبحثون عنه، فإن لم يأتهم أتَوْه وقصدوه، وكل يقيني أنهم لا يعُون ما يفعلون، فلو وعوا ما فعلوا: وإنما هو سلطان الشهوة والغضب ينخر أعصابهم، فيجعلهم عبيدا له، يزيِّن لهم باطلهم، ويريهم أنهم أقوى الناس، يَغلبون ولا يُغلبون، وأنهم على حق وجميع الناس في خطأ، وأنهم هم المظلومون و(المحقورون)-بقاف مثلثة-... فـ"حرام" عليهم أن يسكتوا عن حقهم، أو (يحقروا) في حيِّهم !!

ولو صدق العزم مِن هؤلاء، لتعلَّموا من الهدي المحمدي أنَّ الصُّرَعة ليس يغلب الناس، وإنما الصُّرَعة من يملك نفسه حين الغضب، ولقد جاء إلى الرسول عليه السلام رجل يسأله عن عمل يدخله الجنة ويبعده عن النار، فأجابه وهو الصادق المصدوق: "لا تغضب ولك الجنة.. لا تغضب ولك الجنة.. لا تغضب ولك الجنة".

فيا أيها الصائم في بلدي، لا تغضب ولك الجنة...

بين الأذان.. وهادلين أولبرايت

اعتاد الشعب الجزائري المسلم سماع صوت المؤذّن في شاشة التلفزيون، ومن الناس من يمسك على إيقاعه، ويفطر على إيقاعه...

غير أنَّ الأمر - في إحدى عشيات هذا الشهر - انقلب ظهر المجن، فقرأ الناس دعاء الإفطار المأثور عن رسول الله صلى الله علية وسلم على إيقاع "مادلين أولبرايت"، و"كوفي عنان" .." ذلك أنَّ السادة المسؤولين عن البرامج آثروا أن لا يقطعوا شهية اللقاء الدولي للمصالحة بين الشقيقين العدوين: إيثيوبيا، وأريتيريا. فذهب الأذان ضحية هذا التصرف الأرعن!

إنَّ "أولبرايت" - كما عهدناها - متهوِّدة إلى النخاع، وهي التي تضع فيما تضع القبَّعة "اليهودية" في المحافل "الصهيونية"، متحدية بذلك كل الأعراف الدبلوماسية، الأمريكية منها والدولية ..

وإنَّ اليهود - اليوم - لا يُخضعون قيمهم وعاداتهم لأيٍّ كان في العالم... أمَّا نحن فعوض أن نرغم "أولبرايت" ومن لفَّ لفَّها، على احترام مواقيت شهر رمضان، ونُسمعهم الأذان في أوانه، فضَّلنا كمٌّ أفواه قيمنا، والتصفيق للوافدين "سادتنا الفضلاء، وسيداتنا الفضليات"... كيف لا، وهم "الآمرون الناهون"، أصحاب "الرأي الحصيف"، و"القول الفصل" في تحديد مصيرنا، ومصير العالم أجمع؟!

إنا - والله - لا نزال نفضِّل أخذ "الدنيَّة" في ديننا.

فحتى يهدينا الله، ويهدي مسؤولينا وإعلاميينا، أحيِّي كلَّ جزائري مسلم، في انتظار اليوم الذي نأخذ "العلية" في ديننا، فيقال لنا نوعها:

"إنكم أنتم الأعلون..".

كل عام وعلماء الجزائر بخير

في يوم الجمعة المنصرم، بُعيد صلاة الجمعة، أقيم حفل بهيج بـ"نزل الجزائر"، حضره خيرة رجالات الجزائر: من علماء، ومسؤولين... من مختلف الوزارات، وأعضاء البرلمانات...

الحفل كان على شرف "أمخاخ" الجزائر في شتى ميادين العلوم، ومِن تخصُّصات عديدة.

والجوائز التي وزِّعت، تراوحت بين الخمسين مليون والمليار سنتيما، فكان من بين المكرمين: مفكِّرون أبدعوا نظريات في الفكر والفلسفة والحضارة، وآخرون ساهموا في تأصيل العلوم بمنظور إسلامي...

وكان من بينهم-كذلك- فيزيائيون، وعلماء أحياء، ومن أبرزهم مخترعون في علم -الروبوتيك-، ومنهم من اكتشف دواءً ضد مرض البيوض، ورياضيون أصحاب نظريات في علم الاحتمالات، تخرَّجوا في جامعة باب الزوار...

أمَّا جائزة القرن المقدَّرة بمبلغ مليار سنتيما، فسلِّمت مناصفة بين عالم جزائريٍّ في الدعوة والفكر والحضارة، وعالم جزائري آخر متجنِّس بالجنسية الأمريكية، استطاع أن يسجِّل في وقت قصير أكثر من عشرين براءة اختراع في "الآلية والحركة".

انتهى الحفل التاريخي قبيل صلة المغرب، ثم أمَّ الجميع شاب مجوِّد، فقرأ في الركعة الأولى من سورة يوسف عليه السلام: "ياأيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون؟ قالوا: أضغاث أحلام، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين...".

فاستفقتُ هلِعا فزِعا، ووجدت التلفاز أمامي مشتعلا، والجوائز تغدق على اللاعبين واللاعباتَ، و"الفنانين والفنانات"... فعُدت إلى نومي:

تصبحون على خير، وكلُّ عام وعلماء الجزائر بخير...

بورصة الصراحة

بالعمل فقط نكتسب الأمل، وليس أسعدَ في حياة المرء من لحظة يصارح فيها نفسَه، ويصارح فيها غيرَه، دون ذلٍ ولا كبرياء..

فالصراحة هي مفتاح السعادة كلِّها، بل هي السعادة بعينها، وهي البلسم الشافي للعيش السليم، وهي السرُّ في رقي الأمم والمجتمعات...

ولا تعني الصراحة، البتَّةَ، المساسَ بمشاعر الآخرين، ولا التعدِّي على حرياتهم...

وليسأل كلُّ واحد منَّا نفسه، وليُسائل أهله ومجتمعه:

❖ ما هو حظُّنا من الصراحة؟

❖ وما حظُّ وسائل الإعلام في بلدي منها، سواء أكانت جرائدَ أم مجلات أم قنوات للتلفزيون...؟

وأين ومتى يتعلَّم الواحد منَّا معاني الصراحة؟

وليكن الجواب على هذا السؤال، عن الصراحة، بصراحة..

ثم، لتنبذ الحاويات، ولتهزأ بالبترول والذهب والفواتير..ولنَعْمل جميعا على شراء أسهم الصراحة بأغلى الأثمان، وأكبرِ التضحيات.. من بورصة الجزائر الجديدة: بورصة الصراحة...

وإلاَّ فكل بورصة دونها، أو قبلها، أو بعدها، هباء!

أقولها بصراحة، ومن كان له اعتراض، فليعترض عليَّ، دون خوف ولا وجل، ولكن بصراحة..

الفشل.. وما أدراك ما الفشل

أكثرُ الناس يعدِم ميزانا يزن به القيم في حياته، وأغلب الأمم تعمد إلى كسر كل ميزان للقيم... لتستوي، عنده وعندها، معاني الربح والخسارة، وتهوي، لديه ولديها، حقيقةُ الانتصار، فينهزم في كل لحظة من لحظات حياته وحياتها، حتى في لحظة الانتصار.. لأنه يتحول عنوة إلى انتكاس... وإن لم تصدِّقوني، فاسألوا التاريخ، وابحثوا في ساعات التحرُّر عند الدول النامية، تجدوها لدموع الحسرة أكثر منها لدموع الفرح...

وعلى خلاف ذلك، أناس- وأمم - أوتوا الحكمة "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً"، فتعلَّموا كيف يحوِّلون كلَّ لحظة من لحظات العمر إلى انتصار.. حتى لحظات الفشل...

فالفشل عندهم تجربة ثمينة مثله مثل النجاح، سواء بسواء، بل في الواقع قد يكون أكثر قيمة، وأحسن مآلا...

ماذا كان أول درس للإنسان في الحياة؟ أن لا يلمس شيئا ساخنا، أن لا يترك لعبته في المطر...

وكيف اكتشف هذه الحقائق الأساسية؟

اكتشفها بالطريقة الصعبة، وتعلَّم منها، بفضل الفشل...

وعلى نفس السياق يمكن لكلِّ إنسان – ومن أيِّ أمة كان - أن يتعلم من كل فشل، ثم يحوله إلى نجاح...

فهل ستحوِّل جزائرنا فشلها المتكرِّر في كل مجال، إلى نجاح مستديم ودائم؟

ذلك ما نرجوه، وعلى الله قصد السبيل.

جريدة البصائر: عدد 35؛ الاثنين 27 شوال04- ذو القعدة 1421/ 22 جانفي- 29 جانفي 2001

عن اليقظة في زمن الغدر، باختصار !!!

حرام أن تنام ! حرام أن تفيق !
حرام أن تولد ! وحرام أن لا تولد !
فأنت مُدان لأنك تجرأت فوُلدت !

إنَّ الأم التي حملتك تتصدر قائمة المتَّهمين! ذلك أنَّها باختصار خالفت كلَّ الأعراف وداست كل القوانين! فوضعتك وليدا وقد كنت جنينا وأيَّ جنين!

مَن هذا الذي وهبك الغرفة والسرير والغطاء، لتولد في أحضان الدفء والرخاء؟!
مَن هذا الوغد الذي لم يجزَّ رقبتك لحظة رأت عيناك ضوء القمر؟!
وسمعت أذناك حبات المطر؟!

كل عربيٍّ يولد في زمن الغدر، وعلى جبينه "دليل الاستعمال"، خطَّ عليه سعادةُ السلطان قدَرَه المحتوم، فكتب بقلم غليظ:

باختصار، هذا الوليد:

- أصمُّ لا يسمع.
- أبكم لا ينطق.
- كفيف لا يبصر.
- أعرج لا يسرع

ثم يتبع الدليل دليلا آخر، كتب عليه:

- سفيهٌ يحجر ماله.
- جاهل يستحيل تعليمه.
- غافل يمنع تنبيهه.
- نائم يحرم إيقاظه.

إنَّ الإنسان في وطني - باختصار - كومةُ متاع، لا يُشترى بل يُباع.. إنَّه كجلمود صخر على فوهات آبار (البترول) !... فمجرّد وجوده - باختصار - يُقلق السادة والأسياد ! ! !

هل هذا كلُّ ما في الأمر؟

نعم، ولكنَّ الزمن كفيل بتحرير العبيد، وبشق الحجر لبعث الحياة من جديد... ويومَها ستحطم الأوثان والأسياد، "ولن يبقى إلاَّ الحجر في عمق الواد"... حينها سوف لن ينفع الاختصار.. باختصار.

لحمٌ على عظمٍ

عندما نقلت شركة (هبنز) عمليات تعليب سمك (التون) إلى مناطق بلاد ما وراء البحار، قامت بتشريع العمل على خطوط الإنتاج لخفض التكاليف.

وقد وفَّرت الشركة أيدي عاملة بنسبة خمسة بالمائة، إلاَّ أن الأعباء تزايدت على أعمال تنظيف السمك، بحيث إنهم كانوا يتركون أطنانا من لحوم السمك الصالحة للأكل ملصقة بالعظام في كلِّ يوم.

وبعد أن درس مديرو الشركة ساعات العمل، قاموا بخفض السرعة على خطوط الإنتاج، واستأجروا (400) عامل إضافي، فارتفعت تكاليف العمالة بمقدار خمسة ملايين دولار، لكنَّ المردود من الأسماك ارتفع بمقدار (15) مليون دولار، مما نتج عنه توفيرات إضافية مقدارها عشرة ملايين دولار في السنة' (عن مجلة fortune، بقلم رونالد فينكوفيا).

كم من الملايير من الدولارات نضيِّعها سنويا، في شركاتنا، وإداراتنا، وجامعاتنا، ومزارعنا.. لعدم التنبُّه إلى جانب الإسراف والتبذير: إسراف في الطاقة، إسراف في المياه، إسراف في الوقت، إسراف في المواد الخام، بل إسراف في المواعيد، ثم إسراف في الأعصاب والأحلام والآمال... وأقصى أنواع الإسراف يتمثل في إضاعة الثقة ممن يحب الخير لهذا البلد...

ألم يأن الأوان لأن ننقِّي العظم جيداً من اللحم الضائع؟!

ألم يأن الأوان لأن نستفيد من خيرات بلدنا الزاهر بالطاقات المادية والبشرية...؟!

أم أنَّنا نفضل البقاء عنوةً (لحما على عظم)؟!!.

عندما يكون الوقت منديلا

في الحدود السورية اللبنانية اشتريتُ جريدة الحياة اللندنية، وفاجأني عنوان كبير في الصفحة الأولى، عن وطني الجزائر، كُتب ببند عريض: "الجزائر خريطة من الدفء الملوَّن" للصحفيِّ إبراهيم خياط، بتاريخ العاشر من فبراير عام ألفين.

وسرعان من علمتُ أنَّ الموضوع يتعلَّق بألفية "جزائر بني مزغنَّة"، فالصحفي كان من جملة الزوار الكثيرين لهذه التظاهرة.

المقال في عمومه جيِّد، والانطباعات حسنة، غير أنَّ الكاتب الذكيَّ لم يفُته أن ينبِّه إلى واقع، هو واقع أمَّة تعاني من التخلف: دينيًّا، وفكريًّا، وحضاريًّا...

بشيء من السخرية يقول: "في الجزائر، الوقت من ذهب، ولكنَّه ذهب يناسِب مستخدميه، الموعد يتأخَّر نصف ساعة، ساعةً، ساعتين... ولكنَّه يتحقَّق في نهاية المطاف، الوقتُ لا يداهم أحدًا، هو ليس سيفا، بل منديل رقيق، يهفهف عند الوجه، قد نشعر به أو لا نشعر".

فهل يجدي التعليق؟!

أمَّا أنا فأفضِّل الصمت؛ لأنَّ من الحقِّ ما يخرس البلغاء... حتى وإن كانوا من جزائر الألفية الثالثة.

ودّت طائفة من اهل الكتاب لو يضلّونكم

ليس من عادتي أن أضيّع وقتي في مشاهدة التلفزيون الجزائري اليومَ؛ لأنَّ برامَجها وحصصَها متلوِّنة، فلا هي من الحقِّ الناصع، ولا هي من الباطل الصريح... وبعض القائمين عليها قومٌ: "إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم..."

فإذا كانت سُويعة من يوم الجمعة للذين آمنوا، فإنَّ باقي أيام الأسبوع من وحي الشياطين، إلاّ ما رحم ربِّي...

تصوَّروا أنَّ فيلما تنصيريا، تبشيريا، يُعرض بدون سابق إنذار، في وقت تجلس فيه العائلة الجزائرية لكأس شاي بعد العَشاء والعِشاء... وفي اليوم الذي اعتلى فيه "بوتين" سدَّة الحكم في روسيا، حليفةَ الصرب، وبعد أيام من ملتقى الإسلام والديمقراطية؛ حيث أدان "المفتي الجديد وكبير القوم" علماءَ الجزائر، وأشبعهم سبًّا وتنقيصا، ورماهم بالخذلان والتواطؤ... أمام مرأى العالم ومسمعه...

مع كلِّ هذه الظروف يفضِّل حمراوي لباس "بابانوال" الأحمر، ويستنجد بأوهام الآباء البيض الكاذبة، ليقدِّم درسا في الردَّة، لشعب ترعرع على حبِّ الرسول الكريم محمَّد، وعلى الأخلاق القرآنية الرفيعة، وليس يبالي في ملّته واعتقاده بـ "جون بول 2"، أو "كلينتون"، أو "بوتين"، أو "بوتفليقة"، أو "حمراوي"... عندما يكون ما يصدر منهم دعوة للردَّة والرداءة...

وبودِّي لو أنهي أسفي بتتمَّة الآية التي اخترتها عنوانا لهذه الخاطرة: "... وما يضلون إلا أنفسهم، وما يشعرون..."

فاللهمَّ إنّا نشكو إليك هؤلاء فاهدِهم، أو اقض فيهم بما شئت، إنك أنت الحكيم العليم...

جودوا بارواحكم

في خطاب ألقاه العلاَّمة الإبراهيمي سنة 1955 في إذاعة صوت العرب، بالقاهرة، وَصف فيه الاستعمارَ وصفا دقيقا، وأنذر الشعب الجزائري المسلم من تسلطه، إنذار رائدٍ لا يكذِب أهله، فقال:

"الاستعمار الغربيُّ، وكلُّ استعمار في الوجود غربيٌّ، يزيدُ على مقاصده الجوهرية وهي الاستئثار والاستعلاء والاستغلال... مقصدًا آخر وهو محوُ الإسلام من الكرة الأرضية، خوفًا من قوَّته الكامنة، فاحتضانه للحركات التبشيرية، وحمايتُه لها، وسيلةٌ من وسائل حربه على الإسلام...

وتشجيعه للضالين المضلِّين من المسلمين، غايته تجريد الإسلام من روحانيته وسلطانه على النفوس، ثم محوه بالتدرج...

ونشره للإلحاد بين المسلمين، وسيلةٌ من وسائل محوِ الإسلام...

وحمايتُه للآفات الاجتماعية التي يحرِّمها الإسلام ويحاربها، كالخمر، والبغاء، والقمار، ترمي إلى تلك الغاية. ففي الجزائر مثلا، يبيح الاستعمار الفرنسي فتح المَقامر لتبديد أموال المسلمين، وفتح المخامر لإفساد عقولهم وأبدانهم، وفتح المواخير لإفساد مجتمعهم؛ ولا يبيح فتح مدرسة عربية تحيي لغتهم، أو فتحَ مدرسة دينية تحفظ عليهم دينهم"

أعتذر للشعب الجزائري المسلم، وأنا من جيلٍ وُلد بعد الثورة، أن أقول: لا يفتقد نظامٌ من نظم العالم العربي – ومنها نظام وطني هذه الأيام – أيَّ صفة من هذه الصفات، فنظرةٌ في الإعلام الفاسد، وجولة في الشوارع الحمراء، وإطلالة على البنوك الربوية، وقراءةٌ لصفحات الثقافة المزيَّفة، وحضورٌ لجلسة من جلسات المجالس الإسلامية المفبركة... تؤكِّد لنا أنَّ أعتى أنواع الاستعمار، وأبشعَ صور التسلط والتضليل، وأخبثَ حملات التحريف والتزييف... لا تزال قائمةً...

فيا أيتها الشعوب المسلمة تيقَّني أنكِ لا تزالين تحت كنف الاستعمار؛ ويا أيها القواد في البلاد الإسلامية، لا نتهمكم، بل نترجاكم أن تنصفوا شعوبكم، ونقولها صراحة: "نحن مغلوبون على أمرنا، والغرب يملي علينا شروطه وكفره... ولا نملك حق الرفض ولا التمرد..."

وأنتم بدوركم قولوها لشعوبكم صراحة: "أفيقوا واطردوا الغرب من دياركم، فأنتم لا تزالون مستعمرين".

أيها المسلمون، رؤساء ومرؤوسين، جودوا بأرواحكم، لأجل دينكم، فالجود بالروح أقصى غاية الجود.

كل هو نسيان ام تناس؟ !

من الأبجديات التي يُمتحن فيها التلميذ في طور التمدرس، في مادة التاريخ، تفاصيل مقاومة الأمير عبد القادر وبطولاته، وحيثياتُ تأسيس دولة الأمير... وكذا تاريخ ميلاده، وتاريخ وفاته...

الكل في الجزائر، حتى الحجر والشجر، كان يعرف أنَّ الأمير توفي يوم 24 ماي 1883م، بدمشق، ثم أعيد دفنه في أرض العالية بالجزائر...

وتمرُّ الذكريات، وتُطمس المعالم بعدما شيِّدت، ويراد بهذه الأمَّة أن تحترف النسيان، وتتظاهر بالتطبيع مع عدو الأمس، وعدو اليوم...

عيد بأي حال عدت يا عيد ❖ بما مضى، أم لأمر فيك تجديد

والذي لوحظ في حقِّ هذه الشخصية، في هذه السنوات الأخيرة، هو التهميش، بفِعل أيدٍ ظاهرةٍ وأخرى خفية، وما كُرهها للأمير، ولكنَّ كرهها هو للقيم الإسلامية والوطنية، التي حملها الأمير.

هؤلاء الذين لا يريدون للجزائر أن تقيم كيانا مستقلا، على أسس وثوابت الأمَّة، بل يودُّون لو يُحيون دولة نابليون في أرض الجزائر، على مبادئ الثورة الفرنسية؛ لأنَّهم باختصار يتقاضون أجورهم على ذلك ولا شك..

وإلاَّ فكيف نفسر كلَّ هذا التواطؤ على شخصية فذَّة، هي الرمز للدولة القوية الصامدة في الجزائر، ولماذا يراد بها كلُّ هذا الصمت؟

ولماذا تُستبدل بصورته على صفحات نقودنا صورةُ حيوانات أليفة وأخرى متوحشة؟

فيا أيها الجزائري، احذر من الانزلاق والتردِّي، واستمسك بالذي أوحي إليك من ربك، وبالذي أراده لك أبطالك العظماء عبر التاريخ...

وإن لم تفعل، فلا كنتَ ولا كانت الجزائر...

المجاعة في القرن الإفريقي..
ومن يراك يعلم انك سببها...

بينما يزداد الأثرياء ثراء، تستمر معاناة الأكثر فقراً، بل تحتد إلى حدٍّ لا يحتمله عقل ولا خُلق ولا دين.. وهكذا أراد المعولِم، وبهذا يعاني المعولَم.. إنّه قانون الغاب في أبشع صوره.

بينما يستمرُّ الحديث عن مكاسب الشركات الكونية، وعن الأرقام الخيالية (من الدولارات) التي توزَّع بسخاء على الفنانين والفنانات، وعلى الرياضيين والرياضيات... ها هي ذي أزمة القرن الإفريقي تعود من جديد، لتشغل صفحات المجلات، ونشرات الأخبار.

فلقد دخلت كلٌّ من إثيوبيا، وأريتيريا، وكينيا، والسودان، والصومال، في خريطة البلدان المهدَّدة بالجوع مرَّة أخرى؛ بسبب الجفاف الذي يكتسحها، زيادة على الحروب الضروس التي لا تبقي ولا تذر.

ويقرِّر الخبراء أنَّ مجاعة هذا العام أشدُّ ضراوة من تلك التي شهدتها سنة 1984، والتي أبادت قرابة المليون نسمة، ويقولون إنَّ حوالي 16 مليونا من سكان هذه البلاد يتهدَّدهم الموت جوعا، وأنَّ مناظر الموت الجماعي، والعظام المتآكلة، بدأت تشاهَد بكثرة فوق الرمال والأتربة المحرقة.

كما أنَّ مرض الدرن (السل الرئوي) يقضي على الآلاف من الأطفال، ولا يجدون دواء ولا مغيثا.

ومما يزيد الوضع سوءا صعوبةُ وصول الإمدادات، لانعدام الطرق، ولشدَّة الصراعات بين الأهالي، ولحرارة الطقس.

وممن شرع في محاولة تدارك الوضع منظَّمات إنسانية عالمية، مع

قلتها وكلفة الإمدادات العالية جداً.

وهنا نسجِّل الغياب التام للمنظمات الإسلامية، سواء العربية منها وغير العربية[1]، الثرية منها والأقل ثراء، الحكومية وغير الحكومية... كأنَّ شغل الدار أنساها حقَّ الجار.. وبهذا نفهم دلالة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف".

ومما يحكى عن الفيلسوف الساخر "برنارد شو" أنَّه لنحالته رآه ثري مفرط في السمنة فقال له: "يا برنارد، مَن يراك يعلم أنَّ في الدنيا مجاعة.."!

فأجابه ببداهته المعهودة: "ومن يراك يعلم أنك سببها !"

فمن هو سبب المجاعة اليوم يا ترى...؟!

كم من بغل رفسَنا... ولكن

ثمة مثل شعبيٌّ يقول: "أنت لم تتعلَّم شيئا مِن بغل يرفسك مرَّتين"؛ وهو في الحقيقة ترجمة للأثر القائل: "المؤمن لا يلدغ من جحر مرَّتين".

ونحن، في مجال التربية، وبمناسبة الدخول المدرسيِّ الجديد، نتساءل: كم من منهج جرِّب في أبنائنا؟ وكم من مرَّة رُفِس فيها واقعنا التربويُّ؟ بل، كم من بغلٍ رفس منظومتنا التربوية؟

وها هي عملية الرفس تتواصل، وأبناؤنا وبناتنا يتساقطون كلَّ سنة في ساحة الرفس، فتضيع بذلك أكبر قوَّة تمتلكها أمَّتنا: "قوَّة الشباب"، لتترك المجال للأغراض القريبة والبعيدة تحكم أمرنا، وللزعانيف - إلاَّ من رحم ربِّي - ينظِّرون لنا ولأبنائنا!

ومع ذلك أحيِّي كلَّ مشتغل في مجال التربية، مسؤولا كان أو معلِّما، ممن أخلص نيته لله، فأخلص عمله لنفع الوطن.

أحيِّي كلَّ صابر لأجل دفع الأذى ورفع الحرج عن أبنائنا.

أحيِّي الذين يتحمَّلون الرفسات كلَّ يوم ولا يتأثَّرون... أولئك الأبطال، وأولئك الرجال.

مقالات

نقطة اللارجعة في التطور التكنولوجي

جريدة البصائر: عدد 09؛ الاثنين 15 ربيع الثاني 22- ربيع الثاني 1421/ 17 جويلية – 24 جويلية 2000

❖❖❖❖❖

"لماذا لم يعد المستقبل في حاجة إلينا" عنوان كبير شغل صفحات من المجلة الأمريكية الشهيرة Wired، وهو عبارة عن صرخة مدوية أطلقها Bill Joy (مخترع نظام جافا Java للحاسوب، ورئيس اللجنة الأمريكية لمستقبل البحث العلمي المعلوماتي) حمَّلها نظرة تشاؤمية حول مستقبل التطور التكنولوجي والبيولوجي، وقال فيها، "يجب أن نوقف عجلة التطوُّر!"

ولقد استدلَّ "جوي" ببعض أفكار المتخصِّص في الدراسات المستقبلية Theodor Kazinski، وكذا باحتجاجات المدعو Alia Unabomber الذي دافع عن فكرة التشاؤم، مستخدما القنابل في الطرود البريدية، احتجاجا على اللامبالاة من الجهات المعنية في هذا الموضوع الخطير...

وفي رأي "جوي" إنَّ مواصلة التطوُّر الحالي، سواء في مجال الروبوت Robotic، أو في المجال الجيني genetic، سيتسبَّب في عدم تحكُّم الإنسان فيما يخترع؛ لأنَّ ما يتوصل إليه سيتميَّز بخاصية النموِّ والتكاثر، مما يهدِّد البشرية بأخطار جديدة، لا يمكن للعقل البشري حاليا أن يقدِّرها.

ويقرِّر صاحب المقال أنَّ إنذاره هذا ليس من قبيل المخاوف التي أطلقها الإنسان عبر التاريخ، كلما اكتشف شيئا جديدا، بل هو حقيقة بادية للعيان، لا ينكرها إلاَّ مكابر أو جاهل بالواقع التكنولوجي المعاصر.

وحتى يحقِّق "جوي" ما قاله في أرض الواقع أعلن أنه سيتوقف هو بنفسه من اكتشافاته، متى تبيَّن أنها تضرُّ الإنسانية، ولا تزيدها سعادة وطمأنية.

غير أنَّ المجتمع العلمي انتقد بشدَّة هذا الموقف الذي وسموه بـ: الرجعيِّ، وغير المؤسَّس... بل إنَّ بعض النقَّاد ذهب إلى حدِّ اتهام "جوي" بأغراض سياسية واقتصادية وراء هذا التحذير، ومنهم من قال: "إنَّ هذا الموقف، لا يصدر إلاَّ مِن مُراهق في البحث العلميِّ، لمَّا يكتمل بعد نضجه".

ولقد تحوَّل الموضوع على شبكة الأنترنت إلى حقل للنقاش في جميع

المستويات، العلمية منها والقاعدية..

وهنا نسجِّل الغياب التامَّ للعالمين العربي الإسلامي، وكأنَّ المسألة لا تعنيهما، رغم أننا نعترف بأنَّ مثل هذه المواضيع الدقيقة لا تُطرح في مستوى الإنتاج في الدول النامية، بل تُطرح بحدَّة في مستوى الاستهلاك.

فإننّا، وإن كنا لم نشارك في التطور التكنولوجي والبيولوجي الرهيب، لا بد أنَّ نتائجه ستطالنا، وسنكون بالتأكيد من بين الضحايا الأوائل. وهذه نتيجة من نتائج العولمة، في عالمنا المتغير.

ومع هذا، يمكننا أن ندخل الحوار، ونؤثّر في المسار العلميِّ، بأطروحات أخلاقية أصيلة، ومشاركات فكرية جديدة... متمثلين قول الرسول الأعظم، صلى الله عليه وسلم: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح، أولها"...

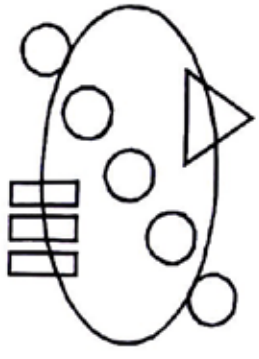

هل من موقف يرضي الشيشان ويغضب الشيطان؟!

جريدة البصائر: 19 ذو الحجة 1420هـ/24 مارس 2000م.

يحرص المفكِّر المعاصِر "صامويل هنتغنتون" في كتابه "صراع الحضارات وإعادة صياغة النظام العالمي" على ترسيخ فكرة مفادها أنَّ الصراع التاريخيَّ بين الإسلام والغرب هو الحال الطبيعية، وحتى في حديثه عن المستقبل يبدو مقتنعا بهذه الفكرة، فيقول: "إنَّ البؤرة المركزية للنزاع في المستقبل المباشر ستكون بين الغرب ودول إسلامية".

لو أنَّ مفكِّرا مسلما تبنَّى مثل هذا الطرح لصُنِّف في خانة الراديكاليين المتعصِّبين، ولاجتهد القريب والبعيدُ في تسويد ملفِّه، وتحريش الرأي العام على أفكاره.

ومع ذلك، فإنَّ قراءة متأنية لمسار الأحداث بعد الحرب الباردة: من الشرق الأوسط، إلى أفغانستان، ثم من العراق إلى الشيشان، مروراً بفضيحة القرن "حرب البلقان".. مثل هذه القراءة تؤكد بما لا يدع مجالا للشكِّ أنَّ الغرب بات يبحث عن "عدوٍّ مشترك جديد"، ولم يجد عدوًّا غير الإسلام، وصدق الله العظيم: "إنَّ الكافرين كانوا لكم عدوًّا مبينا" (سورة النساء 101).

من هذه النافذة الواقعية، أحاول أن أعرض وجهة نظرٍ في قضية الشيشان، التي دخلتْ في زمرة المسكوت عنه إعلاميًّا، والمغضوب عليه سياسيًّا، ولا عجب فإنَّ السياسة والإعلام في العالم العربي هواية موسمية، تمارَس كالسباحة على الشواطئ، في فصل الصيف فقط، أو داخل القاعات الدافئة عند اشتداد البرد.

فمنذ شهورٍ كانت الشيشان حديثَ وكالات الأنباء والإذاعات والجرائد والمجلات، أمَّا الآن فلا نسمع ولا نقرأ عنها إلا لِماما، وكأنَّ مجرَّد الصمت الإعلامي ينهي المسألة ويحلها، حتى وإن تواصلت مِحن إخواننا المسلمين فوق أراضي القوقاز، وفي المستوطنات.

تتمثَّل وجهة نظري في تعديل طفيف لمقولة "هنتغنتون"، فتصير كالآتي: "إن البؤر المركزية للصراع في المستقبل، ستكون بين الغرب وأتباعه، من جهة؛ وبين المسلمين في الغرب وفي الشرق على السواء، من جهة أخرى".

ويصنّف هذا الطرح المواقف المتباينة من قضية الشيشان إلى خمسة أصناف هي:

1 - المجرم العلني: ويتمثّل في روسيا حكومةً وشعبًا؛ ذلك أنَّ السبب المباشر للأزمة هو الانتخابات الرئاسية، والاستراتيجية المحدَّدة هي إرضاء "بوتين" للشعب الروسيِّ، بقتله وتقتيله للمسلمين، وأخذ الثأر من محنة هزيمة روسيا النكراء، أمام المجاهدين الشيشان.

والهدف الأعلى هو القضاء على ريح الإسلام أينما كان، ولقد أكَّد الرئيس الأنجوشي "رسلان أوشيف" أنَّ السلطات الروسية تنظر إلى الشعب الشيشاني بكامله على أنّه من المسلمين المتطرفين، ومن هذا المنطلق تستحلّ دمه بلا هوادة.

وقد ذكر "عمر"- وهو أحد اللاجئين إلى مخيَّمات "أنجوشية"، رفضَ ذكر نسبه مخافة البطش الروسي- أنَّ اللاجئين لا يجدون أحداً يعلّمهم أبسط قواعد الدين الإسلامي، ومن يتجرَّأ من الشباب المتديِّن، ويحاول القيام بذلك وسط المخيَّمات، يفاجَأ بالمخابرات الروسية والأنجوشية الموالية لموسكو، تتعقَّبه، وتضربه، وتمنعه، وتصفه بكلمة "وخابيتي" التي تعني: إرهابي.

2 - المجرم المخادع: ويتمثّل في بوليس العالم أمريكا، وباقي دول أوروبا، التي تكره روسيا، ولكنَّ كرهها للمسلمين أشد. ولقد أكَّد الرئيس الفرنسي السابق في إحدى خطاباته -بمناسبة حرب البلقان- أنّه من المستحيل أن يسكت الأوروبيون عن قيام كيان إسلامي في أوروبا.

3 - البعثات التنصيرية والبوذية: أكَّد "ألبا غاتشيف محمد أحمد" و"موسى أسمورزيوف" أنَّ البعثات التنصيرية والبوذية اعتادت أن تنشط في كل أزمة تشبُّ في البلقان.

ويذكر الرهبان في شريط فيديو يبثُّونه في مخيمات الشيشان أنَّ لهم في جمهوريتي "كازاخستان" و"نالتشك" سبعة وعشرين (27) مؤسَّسة تنصيرية، توزِّع الأدوية والمواد الغذائية والأغطية، ومعها "كتيب يحوي مواعظ كنسية تحثُّ على الصبر، وتبشِّر بالربِّ يسوع، الذي سوف يعوِّض هؤلاء المشرَّدين البائسين خيراً"، ومع الكتيب "نسخة فاخرة من الإنجيل، مطبوعة على الورق الملوَّن".

أمَّا البوذيون فقد أوفدوا مؤسَّسة "كريشنا" إلى المخيَّمات، للدعوة إلى معبودهم وربهم: كريشنا!

4 - الحكومات العربية (والإسلامية بين قوسين): ليس أدلَّ على تخاذلها

من حيرة الرئيس الأنجوشي "أوشيف"، في خطاب له، قائلا: "أين العرب؟ لم نرَ لهم أيَّ وجود في هذه المحنة التي يتعرَّض لها شعب الشيشان والأنجوش".

ولقد تباينت مواقف الحكومات العربية -بالخصوص- بين مفضِّل للصمت، ومداهن للروس، ومتواطئ معهم...

ولن يُنس أبدا ذلكم التصريح الذي أدلى به سفير روسيا في الكويت، في الشهر العاشر من السنة الماضية، الذي جاء في فحواه: "إنَّ روسيا والكويت اتفقتا على اتخاذ إجراءات لضمان حصول مراقبة أكثر حزما على نشاطات الإسلاميين الكويتيين، الذي يساندون الشيشان".

5 - الشعوب المسلمة: أغلبها يستنكر وحشية الروس، من منطلق إيمانيٍّ عقديٍّ، ولكنَّ مواقفهم تختلف: بين لا مُبالٍ، وعاجزٍ عن فعل أيِّ شيء، ومستغيثٍ بالدعاء، وناقم بالقلم و..و...

والذي غاب بحقٍّ هو: التنظيم المحكم لهيئات تعمل على جمع التبرُّعات، والأدوية، وتسعى لإيفاد وعَّاظ، ومعلمين، ودعاة، وأطبَّاء...

وفي غياب هذا التنظيم، نفُد صبرُ بعض الشعوب الإسلامية، وفي هذا تذكر الأخبار المنشورة عبر شبكة الأنترنات، أنَّ جماعات من المقاتلين المسلمين من دول مختلفة، هي: الكويت، وباكستان، والسعودية، وقطر، وسوريا، وتركيا، نزلت أرض الشيشان، وبدأت تجاهد جنبا إلى جنب مع المقاتلين هنالك، وتمدُّهم بالمال والعتاد والأدوية.

أمام هذا التصنيف، وتجاه هذا الواقع المرير، يتساءل القارئ: وما دور الجزائر والجزائريين في كل هذا؟

ولعلَّ من الحكمة أن لا تُلقى الأمور على عواهنها، إذ ينبغي أن تكون أزمة الشيشان سببا للوحدة في الجزائر لا مدخلا إلى التفرقة، ولذا فالواجب عقلا وشرعا أن تؤسَّس جمعيات لها صيغة قانونية، تحمل رُخصا من الهيئات الرسمية، وتعمل جاهدة لجمع الإعانات بمختلف أنواعها، وضمان إيصالها إلى أرض الشيشان، وليس هذا بمتعذِّر على أمَّة مثل الجزائر، إذا صدقت النيات، وخلصت العزائم.

وليَسألْ كلُّ واحد منا، مسؤولا كان أم مثقفا، أم مواطنا بسيطا: ماذا فعلت؟ وماذا ينبغي أن أفعل؟ ألا يمكن أن نتَّخذ موقفا موحَّدًا يسهم في تفريج الكربة عن الشيشان، ويزيد الشيطان غيظا وحنقا؟

فاللهمَّ نجِّنا من الفتن ما ظهر وما بطن، وكن لنا ولإخواننا المسلمين في الشيشان وليًّا ونصيرا، يا نعم المولى ويا نعم النصير.

وتدور الدائرة لصالح الإيمان

جريدة البصائر: عدد 09؛ الاثنين 15 ربيع الثاني 22- ربيع الثاني 1421/ 17 جويلية - 24 جويلية 2000

مرَّت الحرب في الشيشان منذ نشوبها بمرحلتين بارزتين، وها هي اليوم تدخل مرحلتها الثالثة، ولعلَّها ستكون الحاسمة والأخيرة...

أمَّا المرحلة الأولى: فتتمثَّل في انتصارات متوالية لمجاهدي الشيشان، تكبَّدت "الأرمادا" العسكرية الروسية خلالها أفدح الخسائر في تاريخها المعاصر -بعد حرب الشيشان الأولى-، وشهد بذلك العالَم أجمع... هنا ظهر المجاهدون وكأنَّهم من الرعيل الأوَّل في عهد النبوية، قبل أن يخفف الحكم عنهم في قوله تعالى:

"يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ، إِنْ يَكُن مِنكُم عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ" 18 سورة الأنفال

المرحلة الثانية: فيها زُلزل المؤمنون زلزالا شديداً، وألقت الروس-بل والعالم الغربي المتواطئ معها ضدَّ الإسلام- بكل ثقلها، من قوَّات وعتاد، في أرض المعركة وفوق سمائها، مستعملة في ذلك أساليب غير إنسانية، مثل القصف الجماعيِّ، وقتل الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ، والأسلحة الممنوعة دوليا، وحصار التجويع...

فظنَّ الناس أنَّ مسألة الشيشان قد انتهى أمرُها، وصارت حديثا بعد عيان، غير أنَّه شتان بين الظن واليقين، بل شتان بين الوهم والحقيقة.

المرحلة الثالثة: إنَّه الإيمان يستيقظ في القلوب، ومعيَّة الله تدخل في الحسبان من جديد، ذلك بأنَّ إخواننا المسلمين الشيشانيين ابتُلوا فصبروا، ونجحوا في امتحانهم الإيمانيِّ والعقديِّ والنفسيِّ.. فما بدَّلوا ولا غيَّروا.. وهكذا صدق فيهم قول الله جل من قائل:

"إِنَّ الله . اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم، بِأَنَّ لَهُم الْجَنَّةَ، يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ ، فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ، وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا"؛

إذ ليس النصر مقتصراً على الآخرة، بل سيتحقق في الدنيا بإذن الله تعالى "وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ" 40 سورة التوبة

فها هي الأخبار تنقل عن رئاسة الأركان الروسية قولها: "إنَّ المقاتلين الذين توزَّعوا على مجموعات صغيرة -خصوصا جنوب الشيشان- يحشدون صفوفهم لشنِّ هجمات جديدة على القوات الفيديرالية"

ويتخوَّف العسكريون الروس -مُنهكو القوى- مِن عمليات سيشنُّها الشيشان قبل 24 ساعة من انتهاء المهلة التي أعطاها الرئيس الشيشاني "أصلان مسخادوف".

ولقد طلب "مسخادوف" من المدنيين مغادرة "جوردميس"، ثاني مدن الجمهورية القوقازية؛ لأنَّ المقاتلين سيسعون لاستعادتها في الأيام القليلة المقبلة.

ويتخوَّف الروس كذلك من عمليات فدائية في "غروزني"، حيث تم العثور في الأيام الأخيرة على مخبأ كبير للأسلحة.

وهكذا يستيقظ الإيمان في نفوس جاهدت في سبيل الله، فوهبَها الله معيته، وكلُ ما ينتظر منَّا - وهو أضعف الإيمان - أن نلهج بالدعاء لله "فاللهمَّ انصر إخواننا الشيشان نصراً عزيزاً، وأنزل السكينة في قلوب المؤمنين، ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم، "ولله جنود السماوات والأرض".

رسالة الشرك ومظاهره

كتاب قيم، ألّفه أحد مؤسّسي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ورؤادِها الأوائل، الشيخ مبارك الميلي رحمه الله (1896-1945).

وهو صاحب كتاب "تاريخ الجزائر القديم والحديث" الذي كان معتمَد المعلّمين الجزائريين في مدارس جمعية العلماء وغيرها.

أمّا هذه الرسالة العلمية "رسالة الشرك ومظاهره" فقد عرضها الشيخ الميلي على المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين، ثم وضع لها الكاتب العام للجمعية الشيخ العربي التبسي تقريراً، من جملة ما جاء فيه: "نهض الشيخ الميلي بالمهمَّة المنوطة به في محاربة البدع، وجمع رسالة تحت عنوان رسالة الشرك ومظاهره، خدم بها الإسلام، ونصر بها السنة، وقاوم بها العوائد الضالّة، والخرافات المفسدة للعقول.

وعرض هذه الرسالة على مجلس إدارة الجمعية، فتصفّحها، واستقصى مسائلها، فإذا هي رسالة تعدُّ في أوليات الرسائل، أو الكتب المؤلفة في نصر السنن، وإماتة البدع.. وإنَّ المجلس الإداريَّ لجمعية العلماء ليقرِّر بإجماع أعضائه أحقّية ما اشتملت عليه هذه الرسالة العلمية المفيدة، ويوافق مؤلّفها على ما فيها، ويدعو المسلمين إلى دراستها، والعمل بما فيها، فإنّه العمل بالدين، والله وحده يضاعف للمحسنين حسناتهم، والحمد لله رب العالمين".

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الرسالة لاقت قبولا وإقبالا، ولا أدّل على ذلك من أنها طبعت أربع طبعات أولاها بالجزائر سنة 1973، وآخرها بالمملكة العربية السعودية... وها هي اليوم دار الغرب الإسلامي - مأجور صاحبها الحاج الحبيب اللمسي - تعيد نشرها من جديد في طبعة خامسة، بثوب قشيب، وإخراج جيد عال.

نفع الله بها عباده المؤمنين...

من حزِّ الرقاب إلى جزِّ الأدمغة

جريدة البصائر: الاثنين 08 ربيع الثاني 15- ربيع الثاني 1421/ 10 جويلية - 17 جويلية 2000

تُعقد القمة الإفريقية السادسة والثلاثون بعاصمة "الطوغو"، بعد القمة الهامَّة والناجحة التي عقدت بالجزائر في السنة الماضية، ولا شكَّ أنَّ القادة الأفارقة سيتطرَّقون إلى الملفَّات الشائكة التي تعرقل مسيرة القارة، مثل النزاعات المسلحة، والمجاعة، والمديونية، والأمراض الفتاكة كالسيدا وغيرها.

ومن المهم والعاجل أن يتطرَّق القادة الأفارقة إلى ظاهرة خطيرة تتمثل في هجرة الأدمغة التي تكوَّنت بفضل تضحيات أبناء إفريقيا.

يسجِّل لنا التاريخ أنَّه منذ وضعَ أوَّل أوروبيٍّ غربيٍّ رجله على أراضي المستعمَرات، وهو يسرع إسراع المختلس للاستحواذ على خيرات البلاد الطبيعية، من المحاصيل الزراعية إلى الذهب الأسود، ولا تزال دول العالم الثالث تُغري الغربيين بما منحها الله من خبايا وكنوز فوق الأرض وتحت الأرض... ومع تحقُّق استنفاد مخزون هذه الدول بدأ الإنسان الغربي -بنظرته الاستعلائية المعتادة- يفكِّر في ثروات جديدة، ومحاصيل أكيدة..

وأخيراً، استقرَّ رأيه على ضرورة سلب المادَّة الرمادية، ووجوب جزِّ الأدمغة المفكِّرة، بعدما كان القدامى يجزُّون الرقاب... فمنذ أشهر عقدت لجنة اقتصادية تابعة للأمم المتحدة اجتماعا في "إثيوبيا"، دعت فيه إلى دق ناقوس الخطر، والتعجيل في وضع خطة دولية لمنع "سرقة النخبة".

وذكرت الإحصائيات أنَّ أكثر من مائة ألف خرِّيج جامعيٍّ هُرِّبوا -أو هربوا- من إفريقية تجاه الدول الغربية.

والمشكل الأساس في هذه الظاهرة، يكمن في عجز الخبراء عن إيقافها؛ لأنَّها تخضع لقانون العرض والطلب، ولكون الاقتصاد العالميِّ -المعولَم الجديد- في الدول المصنعة، يحتاج إلى المزيد من الخبرات العلمية، وهو مستعدٌّ لتقديم إغراءات مادية ومعنوية قصد جلب أكبر قدر ممكن من الرؤوس إليها.

وتذكر الإحصائيات -بهذا الصدد- أنَّ بريطانيا وحدها ستحتاج إلى ثمانين (80) ألف متخصِّص من خارج بريطانيا، في السنوات الثلاث المقبلة، وأوروبا مجملة يقدَّر عجزها بـ 5.1 مليون متخصِّص لسدِّ حاجياتها العلمية في السنتين المقبلتين. وفي الولايات المتحدة يقدَّر العدد بـ 364 ألف متخصص على الأقل.

وقد بدأت الأصوات تتعالى في أوروبا وأمريكا بضرورة تسهيل طرق التهجير للأدمغة، سواء من السياسيين مثل الحكومة الألمانية، أو الاقتصاديين مثل "بيل غيتس" مدير "ميكروسوفت" للبرمجيات.

وأغربُ ما جاء في إحصائية أجرتها لجنة تابعة للأمم المتحدة، أنَّ الدول الغنية ستعاني من عجز بشري، خلال المائة سنة المقبلة، يقدَّر بسبعمائة (700) مليون "رأس!!" لتعويض النقص في اليد العاملة وشيخوخة السكَّان، إذا هي أرادت أن تحافظ على وتيرة التقدم التكنولوجي الذي وصلت اليوم إليه. ففرنسا وحدها في حاجة لأكثر من 94 مليون مهاجر جديد، أي أكثر من ضعف سكانها حاليا.

وفي هذا الصدد نستفسر ونسأل: تُرى إلى أين ستهجِّر الأدمغة التي صنعت في الجامعات الجزائرية، بأموال جزائرية؟ هل ستفضِّل أمريكا، أم أنَّها ستكون وفية للاستعمار القديم الجديد فرنسا؟ هل طرح الرئيس مثل هذه المواضيع الإستراتيجية المصيرية على طاولة البحث والنقاش، يوم أوى إلى باريس؟ أم أنَّ الخطاب التاريخي غطى على التفكير المستقبلي؟

أمَّا ما نعرفه يقينا، ونشهده عيانا، أنَّ أصدقاء لنا كانوا لامِعين في دراساتهم، تلقَّوا ولا يزالون إغراءات من جامعات ومراكز بحث مختلفة، فمنهم من "قضى نحبه" وغادر أرض الوطن، ومنهم "من ينتظر"، وما بدَّلوا تبديلا !!!

مكانة الكتاب أمام تطور وسائل الإعلام

جريدة البصائر: عدد 03: الاثنين 02 ربيع الأول 09- ربيع الأول 1421/ 05 جوان- 12 جوان 2000

قبل تناول هذا الموضوع بالدراسة والتحليل يجدر بي أن أنبّه إلى نقاط تكون مدخلا للفهم، وأرضية للبحث، منها:

- أنّ هذا الموضوع من أعقد مواضيع العصر، وهو حديث وسائل الإعلام منذ أمدٍ بعيد.

- أنَّ الإشكال بهذه الصيغة الفنية المطروحة في العنوان، إذا نظرنا إليه من جهة نظر العالم "ما بعد الثالث"، يكون صحيحا وواقعيا، أمَّا إذا تناولناه من مدخل متطوِّر فإنّه يتغير إلى الصيغة الآتية: "ما هي مكانة وسائل الإعلام الحديثة أمام الكتاب"... ففي الطرح الأوّل يكون الكتاب مهدَّداً، أمَّا في الثاني فهو الأساس الذي أثبت صموده أمام كل التيارات الجارفة من وسائل الإعلام المعاصرة.

- للموضوع مداخل شتى، يصعب أن نختار الأنسب من بينها؛ فإمَّا أن يطُرح من مدخل عمليٍّ صرف، وهنا يحتاج إلى نماذج وأمثلة... وإمَّا أن يطرح من مدخل فلسفيٍّ فكريٍّ تحليليٍّ، غير أنه قد يصعب على غير المتمرِّس أن يستفيد منه؛ وإمَّا أن يُطرح من مدخل واقعيٍّ يكون فيه "ما نحن عليه" المصدر والمادة الأولى التي تحلل، للبحث عن نتائج مقبولة.

لهذه الأسباب ولغيرها، اخترت أن أجمع بين المداخل الآنفة الذكر، جمعا بين المقال التحليليِّ والعرض الصحفيِّ .. وبالتالي تكون النقاط التي سأتناولها كالآتي:

اولا- ماذا نعني بالكتاب؟

ثانيا- ماذا نعني بوسائل الإعلام الحديثة؟

ثالثا- الموجة الثالثة.

رابعا- المواجهة بين الكتاب ووسائل الإعلام قبل عصر الأنترنات.

خامسا- القابلية للجهل.

سادسا- لا شيء يخلف الكتاب الورقيّ.

سابعا-من التجربة الذاتية.

أولا – ماذا نعني بالكتاب؟

عندما نقرأ قوله سبحانه وتعالى عن القرآن الكريم: "ألمِ تلك آيات الكتاب الحكيم" (لقمان:1)،

أو قوله جلَّ من قائل: "حم تنزيل من الرحمن الرحيم، كتابٌ فصِّلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون"(فصلت: 1-2)

... وغيرهاتين الآيتين مما ذكِر فيه الكتاب في كامل القرآن الكريم... نتساءل: ماذا يعني مصطلح الكتاب؟ هل هو الوعاء الذي يحوي نصَّ القرآن الكريم؟ أم هو المحتوى وإن اختلف الوعاء؟

وبصيغة أخرى: هل يصدق معنى الكتاب على مصحف قديم مخطوط في الجلد، أو في الورق البردِي؟ ولا يصدق على مصحف يحويه كتاب إلكتروني، أو قرص مدمج، أو موقع في الأنترنات؟

بالطبع لا يقول بهذا أحد، وبالتالي فأرى من اللازم بالنظر إلى المفهوم الشامل الوارد في القرآن الكريم، أن يستعمل لفظ الكتاب في أشمل معانيه، ولا يقصر على حزمة من الأوراق بين دفتين.

ولا عجب، فإنَّ اللفظ (الكتاب) في لغة العرب يحتمل معاني كثيرة، منها: الفرض والحكم والقدر، ومنه "لكلِّ أجل كتاب"، ومن معاني الكاتب في لغة الضاد: العلم، ففي القرآن الكريم: "أم عندهم الغيب فهم يكتبون"، أي "فهم يعلمون".

ومن هنا نعرج إلى الوسائل الحديثة، ونسأل عن معناها المضاف في هذا المقال.

ثانيا-ماذا نعني بوسائل الإعلام الحديثة؟

الوسيلة كلُّ ما يراد به غيره لا ذاته، والوسيلة التي يفترض منها أن تقف أمام الكتاب هي التي تؤدِّي نفس الغرض الذي يؤدِّيه الكتاب... ومن ثم لا نقول مثلا: ما مكانة الكتاب أمام تطور وسائل النقل أو وسائل الطهي، أو غيرها مما لا يحتمل في مثل هذا المقام.

والمقصود بالوسيلة هو: أوعية المعلومات والمعارف، في أشكالها المعروفة:

- المقروءة: مثل الكتب الإلكترونية، وقواميس الجيب...
- والمسموعة: مثل الأشرطة، والأدلة الناطقة...
- والمرئية: مثل القنوات التلفزيونية، ولعب الأطفال...

وقد تتداخل هذه الأشكال، وأحسن نموذج لذلك هو شبكة الأنترنات..

ثالثا-الموجة الثالثة

يجب أن نعرف في البداية أنَّ العالم قد مرَّ بموجات ثلاث - في مجال التطور التقني والمدني-:

فالموجة الأولى حصلت منذ عشرة آلاف سنة، وذلك مع اكتشاف الزراعة، أمَّا الموجة الثانية فبدأت منذ ما يقارب ثلاثمائة سنة، مع انتقال الحياة من الزراعة إلى الصناعة، وأمَّا الموجة الثالثة فتتمثل في الإعصار المعلوماتي والمعرفي الذي نعيشه في هذه العقود القليلة الماضية.

وقد حلَّل هذه الموجات المتخصِّص في الدراسات المستقبلية (ألفين توفلير)، في كتابه (الموجة الثالثة)، الذي صدر عام 1980، ونال به الشهرة نفسها التي نالها من كتابه (صدمة المستقبل) الذي صدر عام 1970، ثم بلغ الذروة بكتابه: (تحوُّل السلطة)، الذي صدر سنة 1990.

ولقد ذكر المهدي المنجزة، في كتابه (مستقبل الماضي وماضي المستقبل) أنَّه إذا كان العلم في الماضي لا يتجدَّد إلاَّ بعد قرون وقرون، فإنَّ المعرفة المعاصرة تزداد بالضِّعف كل سبع سنوات، وهذا التسارع المذهل يكفي للتدليل عليه أنه يصاغ سنويا 40 ألف مصطلح جديد في مختلف ميادين العلوم، وفي كل دقيقتين يصدر مقال علميٌّ في جهة ما من العالم.

هذا في الماضي السحيق - أي في سنة -1994 قبل انتشار شبكة الأنترنات، ولا شكَّ أنَّ العدد تضاعف بعشرات المرَّات.

هذا التطور السريع، الذي يقاس بسلَّم ألفيٍّ لا بسلَّم مئوئ أو عُشاريٍّ، لم يحدث في مجالٍ مثلما حدث في مجال المعلومات والاتصال.

رابعا- من الندرة في المعلومات إلى الإفراط في المعلومات

كانت المشكلة قبل توفُّر وسائل الإعلام المعاصرة هي: الندرة في المعلومات، Under-information، ثم تحوَّلت المشكلة إلى النقيض، أي: الإفراط في المعلومات Over-information.

والذي يتوفَّر اليوم بين أيدي أبسط إنسان، حتى ولو كان من سكان العالم (ما بعد الثالث)، يفوق بملايير المرَّات- كمًّا - ما كان بيد أكبر علماء القرون الماضية من معارف ومعلومات... من أمثال: سقراط، وأرسطو، والخليل بن أحمد، وابن سينا، وجليليو، وأديسون... وحتى آينشتين، وبور في الآخرين.

لكن، هل تمكَّنت هذه الوفرة من إبداع الملايير من المفكِّرين؟ وهل نفت الجهل والأمِّية عن الملايير من المشاهدين والمهتمين؟ أم أنها كرَّست جهلا من نوع جديد، هو ما قد أقترح له مصطلحا جديدا هو: "المعرفة المضبَّبة".

مَن مِن البشر يمكنه أن يهتدي السبيل وهو يقتحم ضبابا مكثَّفا، يفوق قدراته البصرية؟

ومَن مِن الناس يمكنه أن يتحوَّل إلى عالم، وكلُّ معارفة -مع كثرتها- غير تامَّة، وغير مركَّزة، يتذكَّرها بسرعة، وينسانا بأسرع من ذلك؟

يكفي أن نذكر - مثلا - أنَّ الولايات المتحدة الأمريكية أنتجت سنة 1996: 450000 ألف كتابا، و1500 جريدة يومية، و3700 مجلة متخصصة، و250 مجلة للمهندسين...

وللعلم فإنَّ هذا الكمَّ الهائل هو اليوم بأيدينا، إذ مكتبة الكنجراس الأمريكي يرتادها شهريا عبر الأنترنات أكثر من 30 مليون زائر[2].

من هذا الطرح البسيط، نجد أنَّ المشكلة ليست في الأوعية، ولكنَّها في القابلية لاستعمال تلك الأوعية.

خامسا- القابلية للجهل

إذا كان المفكِّر الجزائري مالك بن نبي قد صاغ نظريته المعروفة بـ"القابلية للاستعمار"، في قوله: "إذا استعمرت الجزائر فلأنها قابلة للاستعمار"؛ فإنَّ مفكراً آخر لا يقل أهمية، وإن افتقد من يحلل آراءه في المخابر الفلسفية المتطوِّرة، هو الشيخ أبو اليقظان إبراهيم، قد صاغ فكرة عميقة، عنوانها "القابلية للجهل"، ويمكن أن نختصرها في قولنا: إذا جهلت أمَّة (أو فرد) فلأنها قابلة للجهل.

وبالتالي فإنَّ إشكالية المواجهة بين الكتاب والوسائل تتبخَّر، لتترك مكانها لإشكالية القابلية للعلم، والقابلية للجهل.

وإذا كان المفكر الأمريكي الشهير (إدوار هول) يقول- في كتابه (ما وراء الثقافة) -عن الثقافة : "إنه لا يمكن لأحد أن يكون واعيا بحياته الثقافية، إلاَّ إذا كان واعيا بحياة ثقافية أخرى، تسمح له بالمقارنة، وبغير هذا سيفقد الإنسان القدرة على إعطاء القيمة"؛ لأنَّ كل قيمة في عمقها الفلسفي هي مقارنة بقيمة أخرى، ونظرا إلى قيمة أخرى، وباعتبار قيمة أخرى....

إنَّ هذا الطرح سيصدق على موضوعنا؛ لأنَّنا إذا رأينا إلى واقعنا تجاه الكتاب، وتجاه الوسائل المعاصرة على السواء، وقارننا كل ذلك مع ما توصَّل إليه الغرب من تطوُّر مهول في المجال الأوَّل والثاني على السواء... فإننا نصل إلى حكم قد يكون مستعجلا، ولكنه يكاد يكون رياضيا، وهو: أنَّ الطعام ليس غذاء في ذاته، ولكنه مغذٍ باعتبار من أنتجه، وكيف أنتجه، ومتى أنتجه، وأين أنتجه، ولماذا أنتجه، ولمن أنتجه... وبالتالي فما قد يكون مغذٍ لأوروبي لا يؤمن بالحلال والحرام-مثلا-، قد يكون سببا لهلاك أمَّة بكاملها من الأمم الإسلامية، التي تعتقد أنَّ الحرام وإن يكون مغذٍ للجسم إلاَّ أنه قاتل للروح، وهو السبب للهلاك في الدنيا والآخرة.

يقال هذا عن الوسائل الإعلامية المعاصرة: أنتجها من يهتم بالشكل على حساب المحتوى، وأبدعها من لا يرى لوحدة الألوهية ووحدة الربوبية معنى[3]، ففيها الغث وفيها السمين.. ومجرَّد استهلاكها دون تمييز وتخطيط مُحكم، قد يكون مُحي لثلَّة من العقلاء في عالمنا الإسلامي الملتزم، ولكنه ولا شك سيميت كل ليلة الملايين من المسلمين، ويرمي بهم في حمأة الشهوات، ويقضي على نخوتهم ورجولتهم، بل ويسلب منهم ما يسمِّيه المفكرون بـ"مبرِّر الوجود" (لماذا أنا موجود؟)... وهو حال الأمَّة الإسلامية اليوم.

سادسا- لاشيء يخلف الكتاب بمعناه المألوف

إذا ما تحدَّثنا عن الكتاب بمعناه المألوف: أي جملة من الأوراق بين دفتين، فإنَّ آخر الدراسات أثبتت أنَّه لا شيء يخلُفه، بل وحتى الاختراعات بدأت تنحو ذلك النحو، فالكتاب الإلكتروني بات همَّ المخترعين مِن أكبر الدول، ولقد اقتُرحت صيغاً له، فكانت أبرز صيغة تلك التي تجعل القارئ لا يفرِّق بينه وبين الكتاب الورقي... وبالتالي اعتبر هذا الكتاب الجديد من

قبيل اقتصاد الورق والثمن والوزن، وساهم في الإسراع في إيجاد المعلومة: إمَّا بالعنوان، أو بالموضوع، أو بالكلمة... من بين العشرات من الكتب التي تحزن في ذاكرته..

ويتوقَّع المحللون أنه سيخلف الكتاب الورقيَّ لعدة أسباب ذكروها، غير أنهم مُجمعون على أنه إلى اليوم لم يوجدوا الصيغة والشكل اللائق تماما، ومجمعون كذلك على أنَّ عادة التعامل مع الورق لدى القارئ يصعب اجتثاثها، ولا تكفي الوسيلة لاستبدال الجيل الرقمي بها، وهذا ما يفسِّر كون الكتب المعروضة على الأنترنات -حتى التي تعرض بالنص- يزداد عدد مبيعاتها في المكتبات بعدَّة مرات، والغالبُ فيمن يتعامل مع الأنترنات أنَّه يطبعه على الورق، ليتمكَّن من التركيز فيه، والاستفادة منه أكثر.

تجدر الإشارة إلى أن جريدة "Le Monde" الفرنسية، قد اعتنت بهذا الموضوع، وكتب فيه المفكِّرون العشراتِ من المقالات، وملخَّص ما اجتمعوا عليه أن لا تعارض بين الكتاب الورقي والكتاب الإلكتروني، فهما مكمِّلان لبعضهما غير متناقضين...

أمَّا عن مستوى التركيز، فيذكرون أنَّ التركيز على الورق يفوق التركيز على الشاشة بثلاث مرَّات، وأنَّ المعلومة المعروضة في الشاشة عيبها أنها سريعة الزوال من الحافظة، عكس المعلومة المعروضة على الورق..

سابعا- من التجربة الذاتية..

إذا انطلقت من تجربتي الذاتية الصغيرة، في التعامل مع مختلف أوعية المعلومات الحديثة والمستحدَثة، من برامج للكمبيوتر، إلى الأدلة الجيبية، إلى مواقع الأنترنات... فيمكنني أن أقرِّر ما يلي:

- ينبغي أن نفرِّق بين ما هو كتابٌ للمطالعة كالكتب الفكرية، والدراسات العلمية... وما هو كتاب للبحث، مما يسمى بـ (المراجع) مثل الموسوعات، والقواميس، وأبرز أنموذج هو مجموعات الحديث النبوي الشريف... أمَّا للمطالعة فلا بديل عن الكتاب الورقيِّ، وحتى لو تحصَّلنا عليه من شبكة الأنترنات، فإننا نضطرُّ لتحويله إلى كتاب ورقي بطبعه في الطابعة ثم تجليده... وأمَّا المراجع العامَّة، فلا يختلف اثنان أنَّ فعالية الوسائل المعاصرة تفوق بملايير المرات فعالية الكتاب الورقي؛ فأنت تحضِّر المادة لموضوع ما في دقائق معدودة، ونفس العمل قد يستغرق في الماضي عمر عالم بكامله، أو أكثر.

• من يُحسن استعمال الكتاب الورقيِّ يُحسن التعامل مع الوسائل المعاصرة، وأمَّا من لم يعتد على المطالعة والصبر على البحث والتدقيق، فإنَّه لن يستفيد كثيراً من الوسائل المحدثة، بل سيتَّسم عمله فيها بما اصطلح عليه أحد العلماء في التراث الإباضي القديم بـ"الوطوطة" في قوله : "العلم والوطوطة لا يلتقيان".

• ينبغي التعامل مع الوسائل المعاصرة بطريقة جماعية، وإلاَّ فإنَّ الفرد الواحد قد لا يستوعب أيَّ موضوع في شبكة الأنترنات مثلا، إذا كان يعمل لوحده..ولهذا وضع مايسمى بدوائر الحوار، والجلسات الإلكترونية...

• يجب أن نتحرَّى مما نحصل عليه من معارف ومعلومات في الوسائل الحديثة؛ لأنَّ السرعة في الإنجاز غالبا ما تفقد الدقة والتركيز.. إلا ما كان من هيئات تحترم تخصصها، وتسهر على شهرتها، مثل: الموسوعة البريطانية، وبعض الجامعات الدولية..

• الإكثار من ممارسة الوسائل الحديثة قد يصبح إدماناً، ويصعِّب على المتعامل الرجوع إلى وسائل يعتبرها أصعب وأكثر تعقيداً، مثل الكتاب، والكراس، والورق..ولذا فالحكمة تقتضي الاقتصاد في كل شيء..

خاتمة

وبعد، فهذه ومضة عارضة في موضوع يحتاج منا إلى عناية أكبر، ويستدعي التفكير الجدِّي في مراكز متخصَّصة، تقوم على التحليل العلميِّ، والإحصائيات، وتستفيد من أحدث الوسائل، منطلقة من الانتماء الحضاري للأمَّة، لإعداد بحوث كفيلة بالنهوض بهذه العينة من المجتمع الإسلامي.

وبغير هذا، سنبقى دوما: نحلِّق في فضاء الخيال، ونختلق الإشكالات الوهمية، فنلفِّق لها الحلول المعلَّبة المستوردة، وننمِّق الكلام والمقالات والمحاضرات، في مناسبات قد تدغدغ العقل، ولكنها لا تغيِّر من الواقع شيئا.

الطلاق ضريبة العولمة

جريدة البصائر: الاثنين 24 شعبان01- رمضان 1421/ 20 جوان- 27 نوفمبر 2000

إذا كانت أدبيات الشريعة الإسلامية تقدّس الرابطة العائلية، وتعطي لها الأولوية في سلّم القيم، وتعتبر من يتلاعب بها-بطريقة أو بأخرى - عاصيا، يستحقّ من الله الخزي والسوء في الدنيا والآخرة، وفي ذلك يقول الله تعالى عن سحر السحرة: "يفرّقون به بين المرء وزوجه، وما هم بضارّين به من أحد إلا بإذن الله، ويتعلّمون ما يضرُّهم ولا ينفعهم، ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق"... أي نصيب.

وإذا كان الرسول الكريم يأمر بحسن العشرة، ويقول في حديثه الشريف: "خياركم خياركم لأهله، وأنا خياركم لأهلي"، ثم ينهى عن تضييع العائلة -زوجة وأولادا - والتلاعب بمصيرها، فيقول: "كفى بالمرء شرًّا أن يضيّع من يعُول".

إذا كان هذا عن الإسلام، فإنَّ الإنسان الغربي - اليوم في ظلّ العولمة - يدفع ضريبة التمدُّن الزائف، والتكالب على الأموال بكل الوجوه، إذ تورد آخر الإحصائيات في فرنسا أنَّ تسعة من عشر (9/10) من المديرين الناجحين يضطرون إلى الطلاق ولو مرَّة واحدة.

فلا المدير الناجح يمكنه أن يساير مطالب الأبوَّة وتبعاتها، ولا المديرة الناجحة في عملها تستطيع أن تكون أمًّا وربة بيت سعيدة...

وأمَّا الأسباب فعديدة:

- منها كثرة التنقل والأسفار، والغياب الدائم عن المنزل.
- ومنها حاجة المدير الناجح، -بعد أن يعتلي سدة الشهرة- إلى امرأة جديدة قلبا وقالبا، تشاركه رحلاته، وتبرز بجنبه في الصورة الإعلامية وفي الحفلات العالمية، ولا يفعل ذلك إلاّ بعد أن يكون قد أبلى المرأة الأولى، واستنزف ما عندها من فتوة، ثم رمى بها وبأبنائها.
- ومنها العلاقات الخارجية التي يقيمها المدير مع الموظّفات في شركته، وهنا تعتبر الزوجة الغربية دوما أنَّ سكرتيرة زوجها تمثّل خطراً عليها، وتهدّدها باقتلاعه منها طال الزمن أم قصر.

• ومنها اشتياق بعض الأزواج إلى حياة عائلية مستقرَّة، وبالتالي إلى زوجة -ربَّة بيت - تقتسم معه أوقات الراحة، وتعينه في تربية الأبناء، وليست المديرة الناجحة في مثل هذه الحال الأنموذج الأمثل، ولا بالزوج المرغوب فيها.

ويصل الحال-حسب الإحصائيات- إلى بعض هؤلاء المديرين أنهم لا يلتقون بأبنائهم وزوجاتهم إلاَّ ساعات معدودة في الشهر، فهم دوما يقطعون القارات، ويحضرون الولائم والحفلات التجارية، حتى تولد لدى الكثير من هؤلاء الأبناء كرها شديدا للنجومية، مما أدى ببعض منهم إلى الانتحار أو تناول المخدِّرات أو هجرة العائلة في عمر المراهقة..

ويأتي على قائمة المطلَّقين مسؤولو البنوك، ثم المكلَّفون بالتوظيف في الشركات الكبرى، ثم المستشارون الإستراتيجيون .. ولا يسلم المشتغلون بالسياسة من هذا التسيب العائلي.

يقول أحد المديرين في مجال الاتصال: "نحن نضحِّي بحياتنا لكي ننجح في حياتنا!!".

وإذا التفتنا إلى الجزائر، وإلى البلاد الإسلامية عموما، فإنَّ هذه الظاهرة تقل؛ لأنَّ العائلة - عموما- تنال نصيبها من الرعاية، غير أنَّ بوادر العولمة والنجومية بدأت تظهر في المدن بخاصَّة، وللإعلام أثره البارز في ذلك، فهو من جهة لا يعالج مثل هذه الظواهر السلبية، ومن جهة أخرى يحث على النجومية ويزيِّن لها، ويظهرها بمظهر الكمال الإنساني، والقدوة المثلى..

فاللَّهُم قِنا شرَّ التشرُّد، واحم عائلاتنا من التشتت، واجعلنا ممن يتوجه إليك صباح كل يوم بالدعاء الذي علَّمتنا: "ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرَّة أعين، واجعلنا للمتقين إماما".

واجبنا في مسألة الانتفاضة المباركة

السبت 15 شعبان 1421هـ/11 نوفمبر 2000م.

لا يجهل مسلم- بفضل وسائل الإعلام- ما آلت إليه قضية الانتفاضة المباركة، بالقدس المحتل، فمِن جهة نشاهد يوميا أطفالا في زهرة العمر يستشهدون، بأيديهم حجارة، وفي قلوبهم إيمان ويقين، ومن جهة أخرى سلطة فلسطينية فاسدة، وسلطات عربية متخاذلة جبانة، خانت الانتفاضة، وكانت عونا لأمريكا وإسرائيل من حيث تدري أو لا تدري.. إلاَّ ما رحم ربِّي.

أمام هذا الوضع، وأمام المظاهرات اليومية في الشوارع العربية، وجدنا أنفسنا - نحن الجزائريين بعامَّة - في حيص بيص، وكثُرت التساؤلات والاستفسارات:

1 - ما هو واجب كلٍّ منا تجاه الانتفاضة؟

2 - هل يجزينا التفرُّج، أو التنديد بالكلام، عن القيام بالواجب؟

3 - كيف نُسقط إشكالية الاختلاف المذهبي على الموضوع؟

4 - هل شهداء الانتفاضة يُترحَّم عليهم، وتصلَّى عليهم صلاة الغائب أم هم في البراءة؟

5 - من يمثلنا في هذه القضية، وكيف، وإلى أي حدٍّ..؟

6 - ما دور مجالسنا العرفية والمحلية، في هذا الشأن؟

7 - وما هي حدود حركية كلِّ فرد في الدوائر السياسية الوطنية والدولية؟

9 - ما حكم من ينتصر عصبية -ولو بعاطفته- لليهود، كرها للعرب؟

هذه أسئلة-وغيرها كثير- تطرح نفسها يوميا على ضمير كل واحد منا، بل ويطرحها الناس علينا في الجامعات، والشركات، والصحافة، والأنترنات.. ومواطن الاحتكاك، ولا يكفي للجواب عنها تجاهلها؛ لأنَّ ذلك مما يضعفنا أكثر وأكثر، وليست سياسة النعام بسياسة.

ولذا فسوف نحاول في هذه المقالة التحسيسية، مقاربة بعض الأجوبة، ولا ندَّعي إدراك الصواب، ولا العصمة في الرأي، وإنما حسبنا أن نحاول، والله هو الموفق للصواب:

تقسَّم المداخلة إلى نقاط هي:

اولا- فضل بيت المقدس في الإسلام لا يجهله أحد، فهو ثالث معلم إسلاميٌ بعد الحرم المكي، والحرم المدني، ولقد خصَّه الشرع الحنيف بما خصهما به من فضل، فقال عليه السلام: "لا تشدُّوا الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجدَ: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى". وفي حديث الإسراء الذي روي في الصَحاح أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم اجتمع بالأنبياء في السموات، وفي بيت المقدس وصلى بهم.. ولذا وجبت حمايتُه، والحرص على بقائه بيد المسلمين، وصدُّ كل من أراده بسوء...

ثانيا- المقدس الشريف أرض النبوءات، فهو بالتالي ملكٌ للمسلمين، لا باعتبار عرقهم ولا انتمائهم الجغرافي، وإنما باعتبار إسلامهم، ولذا فإنَّ تناول المسألة بطرح عرقيٌ يضعفها، ويعطي الحق للمتدينين اليهود، على حساب غير المتدينين العرب.

ثالثا- أوجب الشرع الحنيف الاهتمام بأمر المسلمين، والدفاع عن مقدساتهم وشعائرهم، وهو فرض كفاية إذا قام به البعض أجزى عن الباقين، وإلاَّ هلكوا جميعا، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه حذيفة بن اليمان صلى الله عليه وسلم: "من أصبح ولم يهمَّهُ أمر المسلمين فليس منهم". وفي بيان معنى هذا الحديث قال الشيخ عبد العزيز الثميني رحمه الله في كتاب النيل: "باب يستوجبُ البراءةَ من لم يهتمَّ بأمور المسلمين ولو دنيويَّة، وعليه النَّصيحةُ، وإن لغائبهم، بكتاب، وإعلامٍ، وبدعاءٍ، واهتمامٍ إن لم يتيسَّرْ...".

وشرح القطب معنى "أمور المسلمين" فقال: "أمور المسلمين عامة أو خاصة، مثل أن يستوي عنده أن يبقى الحجُّ أو يُقطعَ، قطع الله من يَقْطَعُهُ" ثم نبَّه إلى وهم قد يقع فيه البعض، بل ونقع فيه اليوم في قضية فلسطين كثيراً، ألا وهو: على افتراض انتهاء المسلمين -لا قدر الله- من وجه الأرض، فإنه إذا "استوى عنده أن يكون أمر الإسلام كُلُّهُ أو بعضُهُ قائما أو غير قائم، كالزكاة والحجِّ والصلاةِ.. كان كافراً".

وفي معنى (ولو دنيوية) يقول القطب: "إذا رأى أحد أمر المسلمين مُشرفا على الضَّيْعَةِ أو ضائعا، أو رأى سببا يؤول به إلى ذلك، وجب عليه الاهتمام به، وهو أن يشغل قلبه بمصالحهم كالدعاء بصلاح أحوالهم، وتدبير الرأي الناجح، والمشورة، واستعمال جاهه، وندب له أيضا استعمال ماله في ذلك".

ثم وضَّح بما لا يدع مجالا للشك أنَّ قوله صلى الله عليه وسلم: (ليس من

المسلمين) هو "إخبار بأنه ليس من أوليائه صلى الله عليه وسلَّم، فهو في البراءة".

رابعا- عماد الدين الإسلامي النصيحةُ، لحديث صلى الله عليه وسلم: "الدِّينُ النصيحةُ قُلنا لمن؟ قال صلى الله عليه وسلم: لله عز وجل ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم".

فعمادُ الدِّين وقوامُهُ ومعظمهُ النصيحةُ، أي الإخلاص، وكذا التصفيةُ من المبطلات للأعمال والمنقصات لها. وما نستشهد به من هذا الحديث هو معنى: النصيحة 'لأئمة المسلمين' أي "الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداءُ الصدقة إليهم، وتركُ الخُروج عنهم ما داموا على الحقّ، والدعاءُ بالصلاح لهم، ومعاونتهم عليه، وتنبيههم وتذكيرهم بالله بلطف ورفق وإعلامهم بما غفلوا، وتأليفُ قُلوبِ الناس لطاعتهم وقبُولُ ما رواهُ علماؤهم، وإحسان الظنّ بهم وإجلالُهم وتوقيرُهم".

ومن النصيحة "لعامة المسلمين "الذبُّ عن أموالهم وأعراضهم".

خامسا- عند مطالعتنا لباب "مسالك الدين" في مصادر الإباضية، وبالذات عند التوسع في مسلكي (الدفاع والشراء) نلاحظ الإعلاء من شأن الجهاد، وهذا له أصل في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وإنما عطلناه في عصرنا خوفا وجهلا بحقيقة الدين، ولا يعني هذا أن نتهوَّر أو أن نفعل ما لا يُعقل، بل الواجب هو أن نصدر في شؤوننا عن أمر ديننا، وإلا ابتلينا-والعياذ بالله- بالفتن.

فنحن نقرأ مثلا حديث: "ما أعمال البرِّ عند الجهاد في سبيل الله وعند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثةٍ في بحر لُجي"، وقد أورد القطب عليه تعليقا شافيا يراجع في الشرح.

وأمَّا في باب مبايعة الإمام، فقد ذكر طريقة المبايعة، ونصها، وفيها يقول المبايع للمبايع: "وقد بايعت فلان بن فلان على طاعة الله وطاعة رسوله، وعلى الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، وأن عليك له ما على الشراة الصادقين والله شهيدٌ بذلك".

فهلا استقينا من هذا التراث العقدي سياستنا الشرعية اليوم، أم أننا فضَّلنا لائكية الطرح على إسلامية المنطلق؟.

وإلى هنا، قد يبقى المسلم حائراً، ويعيد أسئلته في الموقف من الانتفاضة في فلسطين، فنقول والله أعلم:

1 - الواجب على كل مسلم أن يهتم بأمور المسلمين؛ ويحذر من الزلل أو

الزيغ في عقيدته، بأن ينتصر للكافر دون علم منه، أو يقدح في المسلمين أو الإسلام وهو لا يدري.

2 - يجب علينا وجوبا عدمُ إعانة الظالم في ظلمه، وعدمُ نصرة الكافر في كفره، ولنكرِّه كلَّ ما يعادي الإسلام لأطفالنا وعائلاتنا: من أفلام، وأغان، وألبسة، ومشروبات، بل من الواجب علينا أن نقاطع رئة الكفر - الاقتصاد-.

3 - نطالب مسؤولينا بالاهتمام أكثر بأمور المسلمين، وليكونوا في مستوى آمالنا وآلامنا، وليبتعدوا ما استطاعوا عن المنطق التبريري، والمواقف الباردة المحايدة، التي لا تخدم ديننا ولا آخرتنا.

4 - لنسهم في انتفاضة الأقصى، ولو بأقلِّ جهد ممكن: بأن نجمِّع أموالا، بطريقة رسمية طبعا، ثم نرسلها إليهم، شريطة أن لا تمر عن طريق السلطة الفلسطينية، بل إلى الأحزاب الحركية الميدانية في أرض القدس.

5 - لنصدر بيانا عن الأمة، نندد فيه بالعدوان الإسرائيلي، ولنسجل حضورنا التاريخي، إرضاء لله تعالى، واقتداء بالمواقف البطولية لأئمتنا الأعلام.

6 - لنستصحب الدعاء بالنصر للمسلمين، والخذلان لليهود والمشركين، عقب صلواتنا، وفي خلواتنا، وأثناء أسفارنا، وعند حزننا وفرحنا؛ فإنَّ الدعاء بظهر الغيب مشهود غير مردود.

أخيرا، نتعجب من حرص اليهود على نصرة باطلهم، وتخاذل المسلمين عن نصرة حقهم، ولنذكر على سبيل المثال فقط: أن "الهاردام"، وهم اليهود المتشدِّدون حشروا قرابة مائة ألف مناصر، للدفاع عن الهوية الدينية للدولة العبرية، في مواجهة علمانية المحكمة العليا في إسرائيل، وأثناء المظاهرات "حافظت الأمهات والبنات المتدينات على مسافة بينهن وبين الرجال والأطفال، الذين يرتدون البدلات السوداء في محطة الباصات المركزية القديمة في القدس، وكانت اللوحات المرفوعة تقول: "لا بديل عن التوراة"".

أمَّا نحن فننهي كلمتنا هذه بأن نكرِّر ما قاله رسولنا عليه أفضل الصلاة والسلام: "لا يصلح آخر هذه الأمَّة إلا بما صلح به أولها" وما صلاح الأمَّة - أوّلها وآخرها - إلا بالتمسُّك بكتاب الله وسنَّة رسوله، والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فاللَّهم أصلح شؤوننا في الدنيا والآخرة، آمين.

ميلاد عالم جديد

جريدة البصائر: عدد 239؛ الاثنين 30 ربيع الأول07- ربيع الثاني 1426/ 09 ماي - 16ماي 2005

في قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية، بالجامعة المركزية، تمت مناقشة رسالة ماجستير، الطالب جهلان محمد بن أحمد، الموسومة بـ: (فعالية القراءة، وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني)، بإشراف الدكتور عبد القادر بوزيدة، ولجنة للمناقشة مكونة من: د.لخضر جمعي رئيسا، والدكتورين: وسيني الأعرج، ومحمد العيد رتيمة عضوين مقررين وذلك صباح يوم الخميس 19 ربيع الأول 1426هـ/28 أفريل 2005م.

وقد جرت المناقشة، في قاعة ابن بعطوش، وتميَّزت بعلمية وجدِّية، قلَّ مثيلها في المناقشات الجامعية، نظرا لطبيعة الموضوع، وكون العمل فيه مغامرة بحثية جريئة، حسب تعبير أحد المناقشين؛ ذلك أنَّ الباحث تعامل مباشرة مع نصٍّ ليس كباقي النصوص: القرآن الكريم، باستعمال آليات جديدة مستعارة من التأويلية "الأرمونوطيقا"، دون إلغاء الآليات العلمية المألوفة في التفسير وعلومه، مما أنتجته العبقرية الإسلامية عبر تاريخها.

وقد أقرّ المناقشون "أن البحث يفرض نفسَه على قارئه"، و"يغريه بمطالعته أكثرَ من مرَّة، بل إنَّ منهم من قرأه مرَّتين، ومنهم من قرأه عدَّة مرات. فالباحث مستوعب لمادته، نهم في قراءاته، متمكِّن في اللغة العربية، وفي اللغات الأجنبية، قادر على التعامل الجادِّ والجدِّي مع التراث الإسلامي، والنتاج الغربي، في آن واحد، وهذا ما قلَّ ونُدر في طلبة الجامعات الجزائرية اليوم.

وقد افتتح الدكتور وسيني الأعرج باب المناقشة، وأبدى إعجابه بالبحث والباحث، وسمَّى جهده هذا مغامرة وشجاعة استثنائية من قِبل الطالب، ثم حرص على إثبات أنَّ ما أنتجه البروتستينات المسيحيون من مناهج وآليات للتعامل مع النص المقدس لم ينتج مثله في التراث العربي الإسلامي، ثم نقد العديد من الأخطاء في تحديد المصطلح، واعترف أنَّ جهد الطالب فريد ونادر.

وفي تقديرنا، إنَّ الدكتور وسيني حاول ركوب فرس ليس بالضرورة مُسرجا لنفس الغايات التي يرمي الباحث إليها، ولا مُلجما بنفس الأسس التي يبني عليها أفكاره وأيديولجياته، فأخطأ التقدير، وحمّل البحث ما لا يحتمل، ووسمه بما ليس فيه، من ثورية وتحرُّر وحداثة لا تعرف حدًّا ولا تعترف بقيد.. وهذا لعَمْري ما لم يفعله الطالب، ولم يدَّعِه، ولم يكن في هذا وفي غيره إلاَّ ناقداً جريئا، وملتزما بريئا، جمع بين تقديس الثوابت والخضوع لها، واستيعاب المتغيرات والاجتهاد فيها، ويشفع للوسيني قوله: "إنني عندما أقرأ القرآن الكريم، أجد في داخلي شعوراً غير الذي أجده عند قراءة أيِّ نص آخر، معترفا بهيمنة هذا النص المتعالي على القارئ، ولكن شريطة أن لا يضعه في مستوى التقديس، الذي يعني احترامه والتبرك به، فيلزم منه إلحاقه بمتحف الفكر، والبحث عن مصادر أخرى للحقيقة..."

أمَّا الدكتور محمد العيد رتيمة فقد حاول أن يضع الطالب في قفص الاتهام، وقال له: "إنك قست على غير مقيس، ولم تفرق بين نص مقدَّس ونصٍّ بشري، فاستخدمت آليات التعامل مع النص البشريِّ في الولوج إلى النص الربَّاني"، غير أنَّ الطالب استطاع أن يدافع عن نفسه بجدارة، وأن يبين بجلاء أنَّ الحديث ليس عن النص القرآني، بل عن آليات التعامل مع النص القرآني، وهذا بحد ذاته مجال اجتهاد في تاريخ الفكر الإسلامي.

وما لبث الدكتور رتيمة أن استدرك، ونفى هذا الحكم عن الباحث، ليبني حكما جديداً مناقضا، وهو: أنه عرض آليات غربية في فهم النص في الفصول الأولى للبحث، ثم عدل عنها في الفصول اللاحقة، ليؤسِّس فهمه على قواعد من التراث التفسيري.

وفي تقديرنا: إنَّ الدكتور -حفظه الله- متمكن في فقه اللغة، وقطبٌ فيه، وقد أفاد الطالبَ كثيراً في هذا المجال، وهو تراثيٌّ متحكم في المعارف التراثية؛ لكنَّه للأسف لم يستوعب علوم العصر وبخاصَّة المنهجية منها، فوقع في الأحكام القيمية غير المؤسَّسة، وخرج عن تخصصه فأخطأ السبيل، وجانب الصواب، ومع ذلك يشفع له إخلاصه وصدقه، وحرصه الشديد على الدفاع عن القرآن الكريم، وهو في هذا يلز في قرن مع الطالب محمد جهلان خرِّيج مدارس الحياة، وسليل أسرة القرآن والعلم في القرارة، وحفيد الإمام المفدَّى رئيس جمعية العلماء المسلمين قبل وفاته: الشيخ عدون، شريفي سعيد،

رحمه الله تعالى.

أمَّا رئيس اللجنة الدكتور لخضر جمعي، فكان أوفر حظًّا من سابقيْه في الجمع بين الدرس اللغويِّ المعاصر، والمنهج التفسيري العبقري الذي أبدعته عقلية علماء الأمَّة في الزمن الغابر، مع استيعاب بيِّن لمداخل الفلسفة والمنطق والمنهج، هذا ما جعل منه مناقشا فريداً، وملاحظا مفيداً.

وقد قال الدكتور جمعي بالحرف الواحد: "أعلِن عن ميلاد باحث في جامعة الجزائر اليوم"، وقال: "إنَّ هذا الباحث يبشِّر بمشروع عالم في المستقبل"، ثم أوضح أنَّ الكتاب حوى كتابين، وأنَّ الخطأ المنهجي واضح في هذا الاتجاه، فقد أجهد الطالب نفسه، ولو أنه اختصر على بحث واحد، لكان أحسن وأفضل... فحاول الطالب والمشرف أن يجيبا، وبقيت المسألة غير محسومة في نظرنا، ثم أفاد بملاحظات شتى رأيناها وجبهة، وعلى الطالب الأخذ بها، والعمل على إنزالها في بحوثه لاحقا.

ثم، أعطِيت الكلمة للمشرف الدكتور عبد القادر بوزيدة، الذي قال: "أشهد أنَّ هذه ليس رسالة ماجستير، بل هي دكتوراه، أو أكثر، وهناك من الباحثين من شرع في هذا الموضوع فتعثَّر في بدايات الطريق، وهناك من أنجز أطروحة الدكتوراه تتناول هذه الإشكالية، ففشل فشلا ذريعا، أمَّا الطالب محمد جهلان فقد تقدَّم بجدارة للبحث فيه، وله معرفة واطلاع واسع بالتراث، ولعله يعرف فيه ما لا نعرف، وله معرفة باللغات، يشفع كلَّ ذلك نهم عجيب على المطالعة، وقدرة فائقة على استيعاب ما يطالع، وقد كانت نتيجة بحثه أكثر مما توقعت أنا.

ثم حاول أن يفرِّق بوضوح بين تعدد القراءات في التراث التفسيري، وبين الوعي بهذا التعدد، مما يستلزم إنتاج علوم في تحليل هذه الظاهرة.. وهذا ما لم يقع في تراثنا للأسف، فسبقنا إليه الغربيون، ويحق لنا اليوم أن نستفيد مما توصلوا إليه بالمستوى المعقول، دون شطط ولا تحجر.

ثم أنهى مداخلة بالقول: "أؤكد: نحن اليوم أمام مشروع باحث حقيقي".

ونكبر في اللجنة المناقشة موضوعيتها، واحترامها للعلم، وتقديرها للجهود، وتقبُّلها لأفكار الغير حتى وإن كانت مناهِضة ومعارضة، ولعلَّ الدليل يكمن في مشهد اللجنة الذي يحوي جميع ألوان الطيف، ويستوعب

المساحة الفكرية المعاصرة: بين يساري ويميني، وتراثي وحداثي، وفلسفي وفكري... وهذه مبرَّة تعرف لقسم اللغة العربية فتشكر، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

ورفِعت الجلسة بعد ثلاث ساعات ونصف الساعة، لتعلن النتيجة، بدرجة: مشرف جدا، مع تهنئة اللجنة.

ونحن بدورنا، نهنئ والد الباحث السيد أحمد جهلان، قبل أن نهنئ الباحث؛ لأنَّ الله تعالى أخلفه بإحسانه إحسانا، وهو مَن هو في الحث على العلم، وخدمة العلماء وطلبة العلم... كما نبلِّغه تهنئة إدارة جمعية العلماء المسلمين، وجمعية التراث، ومكتب الدراسات العلمية، والمطياف القرآني، وجماعة معجم مصطلحات الإباضية، وإدارة دورية الحياة، التي يشغل الباحث محمد نيابة رئاسة التحرير فيها...

ونخص بالذكر – من بين المهنئين – الأستاذ محمد الهادي الحسني، والدكتور إبراهيم بحاز من الأردن، وكلّ باحث عن الحقيقة، مؤمِن بالجودة بديلا عن الرداءة، وبالإحسان هادما للرديئة، وبالإيمان قاهراً للردة، ولينصرن الله من ينصره، وإن الله لمع المحسنين.

الجنس في "شبكة الانترنات"

يعرف كلُّ مستخدم لشبكة الأنترنات ما تحمله هذه الوسيلة العجيبة من منافع، وما تَطويه من مسافات، وما تمنحه من سلطة معرفية نافذة... غيرَ أنَّ المصيبة تكمُن في أنَّ ما تحويه هذه الشبكة من الفساد، ومن الانحراف، قد يفوق كثرةً وإغراء ما تحويه من صلاح.

لعلَّ أخطر مظهر من مظاهر الانحراف، تلكم المواقع المنبثَّة، التي تحترف الجنس بضاعة، والإغراء وسيلة، والشهوة طعما ومصيدة...

فمستخدم الانترنات يصل إلى هذه المواقع site بطريقتين:

❖ إمَّا أن يقصدها بالعنوان أو بالمحتوى.

❖ وإما أنها هي التي تقفز إلى جهازه، سواء بالبريد الالكتروني (email) أو(ICQ) أو غيرها... فتدعوه إلى زيارتها، وتدغدغ فيه الجانب الشهواني، وهذا مِن عمل الشيطان من لدن آدم عليه السلام إلى أن تقوم الساعة "فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما".

والأدهى من ذلك -كما نقرأ في بعض الصحف الإعلامية- أنه بالإمكان عقد تلاق عاطفي، وإيصال مستخدم هذه المواقع إلى حدِّ الممارسة "الجنسية عن بعد". بما يسمى "الواقع الافتراضي" وهذا ما يجعلها أخطر من المجلات ومن القنوات التلفزيونية الخليعة.

مشكلة حيرت الدول المتطورة

رغم "حرية الجنس" في الغرب، إلاَّ أنَّ اكتساح هذه المواقع للملايين من الشباب، وإفساد الروح العملية والمسؤولية لدى المواطن الغربي.. جعل هذه المسألة تأخذ أبعادا خطيرة، في المحاكم المتخصِّصة، وفي البرلمانات الأوروبية والأمريكية.

ففي فرنسا - التي تعدُّ ضمن البلاد المتأخرة جدا في مجال الانترنات،

استعمالا وتقنينا - لا تزال القوانين عاجزة أمام التجاوزات، ولذا أثارت إشكالية استعمال مواقع الجنس أثناء العمل، أو باستعمال وسائل الشركة، جدلا كبيراً... فثمة موقفان:

- موقف وُصِف بالمتشدِّد، داع إلى الصرامة، ويطالب بإصدار أقصى العقوبات على من قبض عليه، وهو يسبحُ في موقع للجنس في وقت عمله.

- وموقف يحمل شعار "الحرية الجنسية" و"الثقافة الحرة" لا يجد فرقا بين استعمال موقع لمكتبة ما مثلا، وبين الدخول في موقع للجنس.. لأنَّ كل ذلك من قبيل الثقافة!..

ونظراً لغموض القوانين، فلقد أغرمت محكمة بفرنسا شركة IBM؛ لأنها طردت أحد موظفيها، بسبب سباحته في موقع للجنس في وقت عمله فقدرت الغرامة بـ 518000 فرنك فرنسي، تسلم لهذا الموظف المظلوم المسكين !!!

وهذا ما دعا بشركات أخرى إلى السكوت، وتفضيل اللامبالاة مخافة العقوبات وهروبا من الغرامات.

أمَّا في أمريكا التي هي رائدة شبكة الإنترنت، فإنَّ إحصائية تقول، إن 55 % من مستخدمي مواقع الجنس، يفعلون ذلك من مكاتبهم في العمل؛ لأنها أرخص، وأكثر سرية...

ومع ذلك فقد أصدرت شركات كبرى قوانين جريئة، تقضي بطرد كل من يسمى بـ: "المستخدم الوردي" للإنترنت internaute rose فلقد طردت شركات New york kino، boing، وXerox بعض الموظفين لهذا السبب.

حلول لمنع استعمال المواقع "الوردية"

ثمة عدة إجراءات، ووسائل، وتقنيات... وُضعت قيد التنفيذ لمنع استخدام لمواقع الجنس أثناء العمل، منها:

1 - الحل القانوني: يوقِّع الموظف عقدا إلزاميا بينه وبين الشركة، بأن لا يستعمل هذه المواقع

2 - الحل التكنولوجي: وهو بمثابة "برامج تصفية" تمنع من الدخول في كل موقع يحمل كلمات مثل: "جنس" أو ما شابهها... ومن هذه البرامج الرخيصة الثمن sont flash- cyber portrol . أمَّا برامج أخرى، فتقوم بتسجيل

كلِّ العناوين التي استعملها الموظف لعدة شهور، وتسمح بمعرفة تاريخية استعماله للإنترنت، ومنها برنامج little brother .

3 - الحل التنظيمي: ويتمثل في وضع أجهزة الكمبيوتر في مكاتب مفتوحة، بطريقة تجعل كل موظف يرى شاشة الموظف الآخر، وبهذا تتم المراقبة الجماعية.

غياب الحل الأخلاقي

يقرُّ المتخصصون أنَّ جميع هده الحلول قد يتحايل عليها من يريد التعمية على المراقبة، أمام غياب الحل الأخلاقي، وانعدام الضمير والإيمان الذي يعتقد حرمة هذا الفعل الشنيع، ويخاف الله الذي لا تخفى عليه خافية...

ليست الجزائر في منأى عن هذه المشكلة، فكل البلاد التي فيها شبكة الإنترنت تعاني من هذه المشكلة، ومنها البلاد الإسلامية؛ ولقد تحولت شبكة الإنترنت إلى "ملهى" و"مزنى" للشاب... مع غياب القوانين الواضحة في هذا المجال.. ذلك أنَّ السلطتين: الدينية والقانونية... تعانيان من تأخر فادح، وعدم مسايرتهما لفقه "النوازل" و"فقه العصر"، فبقي المجال واسعا أمام الحركات الهدامة، للدخول عنوة إلى العقول وتخريب الذمم..

فهذا هو الاستعمار الجديد... بلا سلاح، وبلا دماء

واجب كلِّ فرد وكلِّ عائلة.

لسنا ندعو إلى تحريم الإنترنت كلية؛ بل ينبغي على كلِّ فردٍ، وعلى كل عائلة، وعلى كل مؤسَّسة، أن تكون يقظة، وتتَّخذ الأسباب لجلب منافع هذه الوسيلة، ودرء معايبها..وإلاَّ تفعل تكن فتنة في الأرض وفساد كبير...

ويبقى المسلم ينتظر فتوى وفتاوى، وقانونا بل قوانين.. في هذا المجال .. ويتساءل: ما دور وزارة الشؤون الدينية، والمجلس الإسلامي الأعلى؟ وما دور وزارة العدل، والمجلس الأعلى للقضاء؟...أمام هذه القضية المستعصية؟

وإلى أن تتحرك هذه الجهات نذكِّر كلَّ فرد بتقوى الله، فإنَّها خير وقاية، وخير عاقبة "ومن يتق الله يكفِّر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً".

صراع الهوية في المنظومة التربوية

(قراءة في محاضرة للدكتور علي بن محمد)

نشرت في جريدة الشروق، الاثنين 05 صفر 1423هـ/18 افريل 2002م

في قاعة المحاضرات العلوية، بالمكتبة الوطنية (الحامَّة)، ألقى الدكتور علي بن محمد محاضرة، عنوانها: "صراع الهوية في المنظومة التربوية". من تنظيم دار الأمَّة، الناشرة لكتب الدكتور، وهذا بمناسبة صدور كتابه "معركة المصير والهوية في المنظومة التربوية، الصراع بين الأصالة والانسلاخ في المدرسة الجزائرية"...

وأوَّل ما يلاحظ هو: قلَّة الجمهور، وغيابُ وسائل الإعلام الخفيفة منها والثقيلة، وعدم حضور الإطارات الثقافية والسياسية، لانشغالها بما هو أنفع ماديا لها، وأكثر تحقيقا للشهرة والجاه والمناصب.

ثم إنَّ المحاضرة غيِّبت وسط المكتبة الوطنية؛ ذلك أنَّه بُرمجت في الطابقِ الثاني، وليس في قاعة المحاضرات المعهودة، مما تسبَّب في انصراف من ضل الطريق، ولم يجد مكان المحاضرة بعد طول عناء.

ولقد تأخَّرت المحاضرة عن وقتها المبرمج بنصف ساعة، وذلك في عرفنا مقبول بل مشكور، فبدأت المحاضرة بعد لَيٍّ، وكانت المحاور الأساسية تدور حول صراع الهوية، والمؤامرات المحاكة ضدَّ التعليم الأصيل في الجزائر.

فعرج الدكتور في لمحة تاريخية على الأندلس، وعلى تاريخ المغرب الإسلامي القديم، ليثبت أنَّ الصراع حول الهوية لم يكن واردا البتَّة، فلم تُعرف ثمة كتل عربية وأخرى بربرية، ولم يكن الأوائل معقِّدين في قضية اللغة.. بل الصراع كان حول السلطات، وبين العشائر، وبين الطبقات الاجتماعية، والمذاهب.. وهذه النتيجة يقول الدكتور: «وليدة سنوات من المطالعة والبحث في كلِّ ما وقعت عليه يدي من المصادر والمراجع، وبخاصة منها الأندلسية».

وفي العهد التركي لم تعرف الجزائر كذلك صراعا حول الهوية، ولا حين دخول فرنسا في بدايات القرن التاسع عشر. ولكن ما لبثت فرنسا أن درست المجتمع الجزائري، وخبرت تاريخه، وعرفت نقاط ضعفه وقوَّته، حتى نحَت نحو "تغيير هوية بهوية"، واستهدفت الدين أولا، واللغة العربية ثانيا.

فطرح الفرنسيون فكرة: "الجزائر بلا لغة، والبديل هو الفرنسية". وفكرة: "الإسلام دين معطل للحضارة، والبديل هو جزائر بلا دين". وفكرة: "لا توجد أمَّة جزائرية، ذلك أنها لا تزال طور التكوين".

لتصل من خلال نفي اللغة، والدين، والأمَّة إلى نفي الوطن. ومن ثم نادت بالجزائر الفرنسية، وهو ما لم يدعُ إليه أيُّ مستعمر في أيِّ بلد آخر، بل إنَّ فرنسا نفسها لم تفعل ذلك في تونس ولا في المغرب، ولا في باقي مستعمراتها.

وقبيل الثورة برزت أوَّل نخبة جزائرية متكوِّنة في مقاعد المدرسة الفرنسية، فحملت معها أفكارا تشكيكية في الهوية الجزائرية، إلاَّ من شذَّ منها، ولكنَّها صادفت نُضجا في الثورة، ومقاومةً عاتية من قبل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، فلم تتمكَّن من إحداث أيِّ شرخ، وانصهر الكلُّ تحت لواء الثورة.

وينبه المحاضِر إلى أنَّ الشيخ ابن باديس لم يكن يعاني من تناقض في الهوية، فكان يوقِّع مراسيله ومقالاته بـ: الصنهاجي. ولكنَّه يكتبها باللغة العربية الرصينة.

إلاَّ أنَّ الخلل الوحيد التي نسجِّله على جمعية العلماء في هذا الشأن هو، كما قال: طرحُها لمصطلح ابن يعرب في مقابل ابن مازيغ، سواء في أشعار محمد العيد، أو في مقالات وأشعار العلماء الآخرين.

فخرجت فرنسا من الجزائر، وتركت أرضية تربوية هشَّة، بل هي كالحمأِ المسنون، بنسبة عالية جدا من الأمية (أكثر من 90 بالمائة)، وبنخبة فرنسيةِ التكوين، وبتناقضات مفتعلة ترمي إلى ترسيخ عدم الانسجام في المجتمع الجزائري، وإحداث الشرخ.

وبعد الاستقلال عانت المدرسة الجزائرية من نقص الإطارات، ومن توجُّه الأكفاء منهم إلى مهام اقتصادية، وإلى الشركات التي كانت تدقُّ الماء في المهراس - كما يقال - أي التي تبدأ بـ"سونا" (sona) مثل "سونطراك"، و"سونالغاز"...

وفي سنة 1963 وقع أول اعتراض على إدخال العربية في المدرسة، وخلال 30 سنة كاملة أنتجت لنا المدرسة الجزائرية - مع كل هذه النقائص - آلاف الإطارات، وأمَّا الشركات فأورثتنا الإفلاس، وكان لا بدَّ من ترميم المدرسة، والقضاء على الشركة الوطنية..

ولكن الذي وقع ليس هو الترميم والتصحيح، وإنما هو الإدانة والتجريم،

فأدينت المدرسةُ وجرِّمت، وحمِّلت كلَّ أسباب التخلف والإرهاب والفوضى، وهذا ما يستدعي - في نظر هؤلاء التغريبيين - إعدامها كليَّة، وبناء هيكل جديد، ليس على أسس الهوية الوطنية، ولكن بالانتكاس، وبالرجوع إلى مدرسة فرنسية قلبا وقالبا، روحا ومنهجا. وبما أنَّ القاعدة الشعبية لا ولن تقبل بهذا التمسُّخ، فإنَّ السلطة عمدت إلى التقية والتستُّر، وتبييت المخططات، حتى جلُّ أعضاء اللجنة المسمَّاة "اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربوية" لا يعرفون محتوى ما سلِّم لمجلس الحكومة، فهذا أمر دبِّر بليل، وعلى نسق المثل: "الليل أدعى للويل".

فكانت المدرسة في الجزائر أداة للصراع بيد شرذمة هم قليلون، وللشعب الجزائري غائظون، ولمبادئه متنكِّرون.. ولم تصبح ميدانا للصراع كما هو مفروض في أيِّ بلد يحترم نفسه، ويدَّعي الديمقراطية وحرية الرأي..

ويحذِّر الدكتور علي بن محمد من مغبَّة هذا التصرُّف الأرعن، ومن آثار الصمت الشعبي عمَّا تتفتَّه هذه اللجنة من سموم، من صنع فرنسا، ومن ترويج أبناء فرنسا..

وهو متيقن من أنَّ الشعب سيكون أقوى، وأنَّ مجرَّد القرارات والمراسيم الفارغة، سوف لن تغير من هوية هذه الأمَّة الأصيلة في شيء...

ثم دعا إلى تعليم أكثر عصرية من التعليم الذي يدَّعونه اليوم: تعليم منفتح على العالم، متجاوز لتخلف فرنسا واللغة الفرنسية، إلى لغات أكثر حضورا في المحافل الدولية، ليذكِّر أنَّ معهد باستور في فرنسا - مثلا - ينشر بحوثه بالإنجليزية، ولقد عارضت الحكومة الفرنسية هذا التصرُّف، وتوعَّدت المعهد بقطع التمويل والمدد عنه، إلاَّ أنَّ الباحثين قالوا: إذا كتبنا بالفرنسية فلن يقرأ لنا أحد في العالم، إلاَّ الفرنسيون.. ولن نتنازل عن العالمية لمجرَّد العصبية.

وبعد تمام المحاضرة، فتح المجال للنقاش والحوار، فكان هادئا في الغالب، وتشنَّج أحيانا.. ولنا جملة من الملاحظات نذليها، وهي:

- أنَّ الجهد الذي يبذله الدكتور مشكورا، من جمع التوقيعات، وتنظيم اللقاءات، يجب أن يثمَّن بمشاريع ميدانية، يمكنها مواجهة المدرسة الخاصَّة (الفرنسية) في الجزائر.

- أنَّ تقديمه للعربية، حتى باعتبارها لغة، يجب أن يكون ضمن إطار الإسلام، فالهوية هي الدين، وليست الهوية هي اللغة فقط - كما قال في

المحاضرة - ، وقد حسم القرآن الكريم في هذا : "إنّما المؤمنون إخوة".

- أنَّ بعض التبريرات التي يحاول بها أن يعلي من عهد الرئيس بومدين، لا مبرِّر لها، فقد كان هذا العهد مشؤوما للهوية الجزائرية، وكان الدين محارَبا بأبشع الطرق، وكانت الاشتراكية هي الدين المهيمن، وهي الهوية، وهي اللغة، وهي الحق المطلق.. ورجاؤنا من مسؤولينا أن لا يبرِّروا للمراحل التي تولوا فيها المناصب والمهامَّ، وأن يعترفوا بأخطائهم دون عقدة ولا عاطفة.

- أنَّ اعتباره تونس أنموذجا للتوازن في الهوية خطأٌ فادح، وتناقض صريح.. فتونس بمحاربتها للإسلام بكل أشكاله، صارت اليوم مقاطعة من مقاطعات فرنسا المدلَّلة، ولا يغفر لها محافظتها على العربية لغة، فقد كان أبو لهب أعرف بالبلاغة من ابن عليٍّ، ولا يشفع له عند الله لسانه ولا بيانه "تبت يدا أبي لهب وتب".

ويبقى أن نشكر الدكتور على محاضرته القيمة، ونرجو من الله تعالى أن يوفقه لتحقيق مدرسة جزائرية أصيلة - بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى - ونحن جميعا ردءٌ له، وسندٌ لمشروعه، فقد آن الأوان لأن تكشف الأقنعة، ويبدو نور الشمس لذي عينين، ولطالما قال الكفار لمحمد عليه أفضل الصلاة والصلاة "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ". فأجابه الله جلَّ جلاله: "لله العزَّة ولرسوله وللمؤمنين". فلنتق الله فيما نأتي، ولنتَّق الله فيما نذر..

"ولينصرنَّ الله من ينصره".

سلطة الحقوق، وسلطة المصالح: رسالة إلى المترشحين للرئاسيات

مع اشتداد حمَّى الرئاسيات في الجزائر، وترشُّح عدد غير يسير من رجالات الوطن لهذا المنصب الكبير، وإعلان كل واحد منهم عزمه على إنقاذ البلاد من الوهدة التي يقبع فيها...

ومع تثبيت العديد من الموظَّفين السامين والموظفين العاديين لمناصبهم، بمحالفة البعض، ومخالفة البعض الآخر...

ومع استفادة الولايات والبلديات والجمعيات من مبالغ مالية سخية، تقدَّر بالمليارات من الدينارات، شريطة الإعلان عن الولاء للإمام، على نغمة الملوك القدامى، في قولهم للمدَّاحين: «خذ ألف دينار»...

نتساءل عن "السلطة الجديدة القديمة" هل هي للدفاع عن الحقوق، أم لمراعاة المصالح؟

أكاد أجزم أنَّ جلَّ المنتخبين (بالفتح، وبالكسر) لا يفرِّقون بين "الحقِّ" و"المصلحة"، سواء في تفكيرهم، أم في تصرُّفاتهم اليومية...

فلو أنَّه كُتب لي يوما ما أن أضيف شرطا جديدا يجب أن يتوفَّر في المنتخِب، ومن باب أولى في المنتخَب لرئاسة البلاد، والمتقدِّم لسوْس العباد، لكان كالآتي:

- يجب أن يفرِّق بوضوح بين "الحقِّ" و"المصلحة"، وأن يتعهَّد على العمل لضمان الحقوق، لا على الحفاظ على المصالح...

وأزيد تقييدا لهذا الشرط، هو: إذا أخلَّ بهذا التعهُّد لزمت إقالته مباشرة...

قد يقول قائل: إنَّك لن تجد ضمن المتقدِّمين للانتخابات الرئاسية اليوم من يتوفَّر فيه هذا الشرط، وإنَّه لشرط ثقيل ومعجِز...

ولكنيِّ أجيب: سلطة تقدِّم المصالح على الحقوق سلطةٌ عدمها خيرٌ من وجودها، وضررها أكبر من نفعها، وأبسط قواعد أصول الفقه، التي

يحفظها الخاص والعام، قولهم: الضرر يزال...

فكيف نعرِّف الحقوق، وكيف نعرِّف المصالح، في كلمات دقيقة وموجزة؟

المصالح....

- هي مكاسب إنسانية النزعة، طبقية اللون، جهوية النفَس، ضيِّقة الأفق، هشَّة البنيان.

- المصالح أوَّلها صراع وآخرها فساد... هي نتيجة للصراع بين الطبقات «فليس التاريخ صراعا بين حقوق متعارضة، ولكنه صراع بين مصالح متعارضة، وهذا هو معنى "الصراع الطبقي"... فالطبقة التي تخرج منتصرة في هذا الصراع تعلن مصالحها - أو إرادتها - قانوناً، ولذلك يقول الماركسيون "القانون هو إرادة الطبقة الحاكمة تحوَّلت إلى إجراءات قانونية"».

- ليس فيها صوابٍ وخطأ، ولا تقبل معنى العدالة ولا الظلم، فهي مصلحة وكفى؟ فقد تغلَّف بقيمة من القيم لتوهم الناس بأصالتها، ولكنها في الجوهر فساد في فساد...

- كلُّ مصلحة لطرف هي بالضرورة مفسدة للطرف الآخر، سواء أكانت ظاهرة أم خفية، آنية أم مستقبلية...

ويمكننا تمثيل المصالح بشكل هندسي يقرِّب المعنى، ويضبط المفهوم: خطان متقاطعان، وزوايا متناظرة:

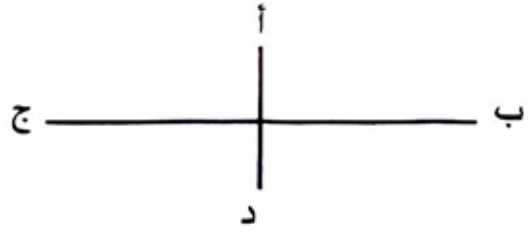

فكلَّما اتسعت زاوية وانفرجت إلاَّ وأحدثت زاوية حادَّة، وضيَّقَت عليها الخناق، فلو أنَّ منطقة معيَّنة في البلد روعيت مصالحها، وأعطيت صلاحيات ومِيزات دون غيرها، لكان ذلك حتما على حساب مناطق أخرى، مهما كان المبرِّر معقولا من وجهة نظر السياسيين، فإنَّ الأخلاق والقيم ترفضها وتشجبها....

وهذا يصدق على الحركات، وعلى الأحزاب، وعلى الشركات... وعلى كلِّ مواطن في هذا البلد من أقصى شماله إلى أقصى جنوبه، ومن أناى مشرقه إلى أدنى مغربه...

الحقوق...

- هي أعظم مظهر من مظاهر كرامة الإنسان «ولأنها كذلك، فإنها تتجاوز الزمن والظروف والتاريخ، وتسمو إلى فعل الخلق» فهي بالتالي فطرية خُلقت مع الإنسان، وبها تميَّز عن سائر خلق الله أجمعين.

- الحقوق لا تقبل التلاعب، فإمَّا أن تكون أو لا تكون، وهي غير مرتبطة بإرادة رئيس، ولا برلمان، ولا وزير، ولا بأيِّ هيئة مهما كان قدرها، ولا بأيِّ إنسان مهما بلغ شأوه، وعلا شأنه... فهي أكبر من ذلك، وأعظم من أولئك.

- الحقوق لا تعرف التعارض، فنهاية حقك هو بداية لحق غيرك، بغضِّ النظر عن الانتماء، والجنس، والمستوى الثقافي، والمكانة المادية، والقيمة التاريخية...

وأقرِّب المعنى برسم هندسي متمثل في الخطوط المتوازية، التي لا تقاطُع بينها، وإنما تستمد امتدادها من المنطلق والمصبِّ، فالمنطلق لكلِّ إنسان مهما علا أو سفل هو العدم:

"هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا" (الانسان:1)

، ومصير كلِّ إنسان - مهما ارتقى أو انحدر - هو الإياب إلى الله تعالى:

"وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ" (النور:42):

أ

ب

ج

د

المعارضة...

المعارضة - مثلا - حقٌّ مشروع، ما لم تكن على أساس المصالح الضيقة، وما كانت مبنية على ضوابط معقولة، واختلافات جادة، والمحك الحقيقي لاختبار شرعية أي نظام أو سياسة أو رئيس، هو الطريقة التي يعامل بها المعارضة بمختلف أنواعها، فإن كان عادلا صادقا غير ظالم ولا مؤثِر لطرف على حساب آخر، كان نظاما عادلا، وسياسة خيِّرة، ورئيسا فاضلا... وإن كان عكس ذلك، فهو أحقُّ بصفات الجور والشر والفساد...

فأملنا من كلِّ مترشِّح أن يسمو ببرنامجه إلى مقام الحقوق والواجبات، وينبذ سياسة المصالح والنزوات، فلو فعل إذا لسطر للجزائر مستقبلا عزيزا، ومصيرا موعودا، حتى ولو لم يفز بالكرسي، ولم يجلس على سدَّة الحكم؛ لأنه سيكون معلما للقيم والمبادئ، وأنموذجا للسمو والارتقاء...

الدكتاتورية

وما الديكتاتورية في عمقها إلاَّ إقرار بمصالح وتجاهل لحقوق، فهي بالتالي سلطة للمصالح لا تراعي سوى مصالح السلطة، ولا يعنيها بعد ذلك أكانت عادلة أم جائرة، مصيبة أم مخطئة..وبالتالي فإنها عادة ما تعتبر نفسها فوق القانون، وتعمل على تجاوز هذا القانون بإنتاج عدد لا يحصى من الإجراءات الاستثنائية، فالدكتاتورية هي «محاولة لاستبدال القانون بالعمل السياسي» أي إحلال المصالح بدل الحقوق؛ لأنَّ السياسة يغلب عليها طابع المصالح، والقانون يغلب عليه طابع الحقوق، وبالتالي فهما غالبا ما يتعارضان إذا كانا صادقين في خطهما، وقد يتفقان إذا تعقلت السياسة أو تمرَّد القانون... فيتحوَّلان في الحالة الأولى إلى سلطة مثالية إنسانية كريمة، وفي الحالة الثانية إلى تواطؤ شيطاني مريد...

وكلُّ رجائنا أن لا يتحوَّل المنتخَبون إلى دكتاتوريين جدد، همُّهم الأوحد منصب زائل لا محالة، وهدفهم الأكبر كرسيٌّ يحقق الامتيازات المادية لهم ولعائلتهم وعشيرتهم ومدينتهم ومنطقتهم... ليس لله في برنامجهم مكان... فما كان لله فهو يصل إلى شركائهم، وما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله...

ورجاؤنا أكبر من المنتخِبين أن لا يصيروا إمَّعات يصفِّقون للخيِّر وللشرِّير، ويسمعون لكل ناطق وناعق، ويجرون وراء كل سليم وأعرج... باحثين عن فُتات السياسيين، يلتهمونه بشره، فإنهم والله لا يأكلون في بطونهم إلا نارا، وسيصلون سعيرا...

وأخيرا، ليعلم كلُّ جزائري أنَّه من حقِّه أن يخطئ ولكن ليس من حقِّه أن يتمادى، من حقِّه أن يعارض ولكن ليس من حقِّه أن يظلم، من حقِّه أن يستغني وليس من حقِّه أن يُفقر غيره، من حقِّه أن يترشَّح للرئاسيات وليس من حقِّه أن يركب إليها فوق حصان مزيف محشو بالمصالح، خال من الحقوق والواجبات...

فإن فعل كانت فتنة في الأرض وفسادا كبيرا...

الله يؤرِّخ بالميلادي، أم على الله تفترون

ردٌّ على التفسير الغيبيِّ لأحداث 11 سبتمبر

الاثنين 05 محرم 1423هـ/18 مارس 2002م

وصلتني ورقة مستنسخة، عنوانها: "الآية الموافقة لأحداث 11 سبتمبر 2001"، كما وصلت إلى الكثير منكم، وسألني من لا أردُّ طلبه أن أبيِّن في الأمر بيانا يرفع الحيرة، ويمحق الشك والريبة، فرأيت أن أجيب، بعد أن أعرض نصَّ الرسالة كما هي:

❖ نص الرسالة:

يقول تعالى:

"لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلاَّ أن تقطَّع قلوبهم، والله عليم حكيم" (سورة التوبة: الآية 110).

❖ التحليل:

- تقع الآية في الجزء 11 من القرآن الكريم، دلالة على اليوم 11.

- تقع الآية في السورة رقم 09 من القرآن الكريم، دلالة على الشهر 09.

- تقع الآية في الحزب 21 من أحزاب القرآن، دلالة على القرن 21.

- عدد الآيات من أوَّل سورة البقرة إلى آخر سورة التوبة هو 1357، دلالة على زمن وقوع الحدث 13:57، الواحدة زوالا و57 دقيقة.

- رقم الآية في سورتها هو 110، وهو دلالة على عدد طوابق المبنى المنهار، 110 طابقا.

- عدد حروف الآية 61 حرفا، دلالة على الأيام الموالية للوالايات المتحدة لأفغانستان، 61 يوما (شهران)

❖ ملاحظة:

- ذكر كلمة (ريبة) في الآية، وهو البنيان المبني من أموال الربى.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

الردُّ على الرسالة

إنَّ القارئ لمثل هذه الأوراق ليتساءل:

في صالح مَن تصدُر مثلُ هذه التفسيرات، التي تربط المسلم بالأساطير والخرافات، وتبعده عن اتخاذ الأسباب، ومعرفة مواطن الداء والدواء؟ فهل تخدم الإسلام والمسلمين؟ أم أنَّها مِعول يحطم عقلية الإنسان المسلم، الساذج في معارفه، الجاهل بأحكام دينه؟

ولكي نجيب على هذه الأسئلة، لا بدَّ من وقفة في الوثيقة المذكورة، تبين خطلها وخطأها:

أولا- هل الله تعالى أرَّخ لهذه الحادثة بالتاريخ الميلاديِّ، وترك التاريخ الهجريَّ، وهو القائل سبحانه في نفس السورة:

"إنَّ عدَّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم" (سورة التوبة: الآية 36)

. وهذه الشهور لا شكَّ أنها هجرية، ذلك أنَّ الأشهر الحرم هي: ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرَّم، ورجب. ثم إنَّ قوله تعالى "عند الله"، أي في اللوح المحفوظ. فهل يوصف القرآن الكريم بالتناقض في التأريخ، وبالتذبذب بين التاريخ الهجري والميلادي؟! تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرا.

ثانيا- هل يعلم صاحب الوثيقة أنَّ تقسيم القرآن إلى "أحزاب" وإلى "أجزاء"، ليس توقيفيا، أي ليس من عند الله تعالى، فلا نقرأ آية واحدة، أو حديثا واحدا عن الرسول صلى الله عليه وسلم يشير فيه إلى حزب كذا، أو إلى جزء كذا.. فلماذا نربط بينها وبين أحداث سبتمبر بهذه الطريقة العشوائية، التغريبية.

ثالثا- يذهب صاحب الوثيقة إلى عدِّ الآيات من أوَّل سورة البقرة إلى آخر سورة التوبة، والسؤال: لماذا أوَّل البقرة، وليس أول القرآن الكريم، أي أوَّل الفاتحة؟ ثم لماذا إلى آخر سورة التوبة، وليس إلى الآية التي هي محل الاستشهاد؟ ثم ألا يمكن أن نجد احتمالات أخرى لا متناهية إذا كانت المقدِّمة خاطئة، وكان الاقتراح اختياري وعفوي؟ ثم إنَّ عدد الآيات مختلف بين قراءة وأخرى، فأيها اعتمد، وأيها أقصى؟

رابعا- يربط صاحب الوثيقة بين رقم الآية وعدد الطوابق في إحدى الناطحات التي وقعت، والمعلوم أنَّ ناطحتين وقعتا في ذلك اليوم، فلماذا اختار واحدة، واستثنى أخرى؟ وأين هو الهجوم على مبنى الكونغرس فيما ادعاه من آي القرآن الكريم؟

خامسا- في الوثيقة: "عدد حروف الآية 61 حرفا، وهو عدد الأيام بين الحادث وهجوم أمريكا على أفغانستان.." فماذا يعني هذا الربط، فهل هو مناصرة وتبرير صريح لقصف أمريكا؟ أم هو استكار لذلك؟ لا نعرف.. فما جاء هنا ليس مفهوما، ولا دليل من ورائه.

سادسا- يفسِّر صاحب الوثيقة معنى "البنيان الذي بنوه ريبة" بأنه البنيان الذي بني من أموال الربا، مستغلا هيكل الكلمتين المتقارب: "ريبة" و"ربا"، في الحين أنه لم يقل بهذا المعنى المفسِّرون الذين يعرفون أصول اللغة، وقواعد التفسير.. فالريبة في اللغة تعني الشكَّ وهو من ما دة "ر.ي.ب." أمَّا الربا فهو من رَبا أي زاد، وهو من مادة "ر.ب.و".. وشتان بين المعنيين.

وأما البنيان الذي ذكرته الآيةُ، فهو المسجد الضرار الذي بناه بنو غنم بن عوف، ليؤمَّهم فيه أبو عامر الراهب، حسدا لإخوانهم بنو عمور بن عوف، الذين بنوا مسجد قباء، علما بأنَّ الرسول عليه السلام أمر بحرق هذا المسجد الضرار.. وفي هذا نزلت الآية، ولا مجال لذكر الربا ولا للاستدلال عليه من هذه الآية.

سابعا- من الميسور جدا أن نوجد احتمالات كثيرة أخرى لنسقطها على هذه الحادثة - كأن نقول مثلا: السورة 110 هي سورة النصر، وهي تتحدَّث عن الانتصار على أمريكا... - فيتحوَّل القرآن بالتالي إلى حقل للتفسيرات والإشاعات المغرضة؛ كلَّما وقعت واقعة أو نزلت نازلة سارع الناس إلى المصحف ليجدوا تفسيرا جديدا، بل تلفيقا جديدا، فيفقد كلام الله تعالى - في قلوب هؤلاء، وفي نفوس ضعاف الإيمان - دوره الذي أنزل من أجله، وهو الهداية والشفاء بأشمل معانيهما، وهو مصدر الهداية والإيمان والعمل الصالح، وجهاد الكفار، وبناء الحضارات، وتعمير الأرض... الخ.

ثامنا- مثل هذه الخرافات تمنع الناس من البحث في الأسباب الحقيقية لأزمتهم، فعوض أن ينظروا في الأسباب التي نزلت بهم إلى حضيض الأمم، وجعلتهم أذلاء منهزمين متخاذلين متناحرين، لا تقوم لهم قائمة... تجدُهم يسَّاقطون على العرَّافين والكهنة، وما الذي فسَّر هذا التفسير إلاَّ واحد منهم، بل هو أخطرهم..

وفي الآية 110 من سورة البقرة، نقرأ:

"وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدّموا لأنفسكم من خير
تجدوه عند الله، إنَّ الله بما تعملون بصير"

وهي أقرب إلى تفسير ما حدث وما يحدث للمسلمين اليوم؛ ذلك أنهم

عندما تهاونوا في الصلاة، ومنعوا الزكاة، وتسابقوا في مضمار الشرّ، وحاربوا الخير.. لم يجدوا عند الله غير الذل والهوان، وما ربُّك بظلاّم للعبيد.

والآية 110 من سورة آل عمران، هي قوله تعالى:

"كنتم خير أمّة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله. . . " .

تفسَّر بما لا يدع مجالا للشكّ ما مُني به المسلمون من هزائم ولا يزالون.. فأين هي الخيرية، وهل المسلمون اليوم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر كما أمر الله.. أم أنّهم قلبوا الآية فأمروا بالمنكر ونهوا عن المعروف: في أجهزة الحكم، وفي الإعلام، وفي المدارس والجامعات... الخ. والحق أنّ من يبتغي العزّة في غير الله أذلّه الله.

واقرأ إن شئت القرآن كلّه، فلن تجد تفسيرا غير الذي ذكرتُه، وليس الأمر مقتصرا على الآيات المرقّمة بـ110 فقط!.

وأخيرا، هل ما نُقل في هذه الوثيقة تفسيرٌ لكلام الله تعالى؟ وهل يجوز شرعا أن يفسَّر القرآن بالرموز وبالتغريب؟ ثم ما حكم من فعل ذلك؟ ألا يدخل فيمن حقّ عليه الويل مما كتبت يداه، وحلّ عليه الويل ثانية مما يكسب من سيئات؟

الواضح والأكيد أنّه لا يجوز تصوير هذه الوثائق، ولا نشرها، ولا بيعها في الدكاكين قصد الربح الخبيث، ولا الاعتقاد بما جاء فيها من خرافات، فمن فعل ذلك أثِم لا محالة، وعليه المسارعة إلى التوبة، والرجوع إلى كتاب الله تعالى بما أمر به: من التدبُّر، والائتمار بأوامره، والانتهاء عن نواهيه.. ومن تمادى تمادى في المعصية، ومن أنكر أو جحد جهلا فلا عذر له.

أمّا من خطّط لمثل هذه الورقات، وعمل على إبعاد الناس عن قرآنهم، وتضليلهم في شريعتهم، فلا محالة أنّه إلى الكفر أقرب منه إلى الإسلام.

وأمّا من أخطأ، ثم تاب واستغفر، فإنّ الآية 110 من سورة النساء جاء فيها: "ومن يعمل سوءً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما".

والله تعالى يقول "وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى" فلنتق الله فيما نأتي، ولنتّق الله فيما نذر.. "ولينصرنّ الله من ينصره".

بصراحة عن الصراع العقدي

مجلة مدرسة التوفيق؛ 2 جوان 2004م

❖❖❖❖❖

طالعت حوارات كثيرة في الأنترنات، منذ بداياتها في التسعينيات، وحاضرتُ في السنوات الأولى لإطلاع الناس - ببلدي - عليها، وقد كان عنوان المحاضرة دالا على ما عانيته جراء هذه المطالعات، وهو: صفين القرن العشرين. ولا شكَّ أنَّ بعض الناس قد سمع هذه المحاضرة، وأحسَّ معي بهذه المأساة..

ثم مرَّت السنوات، ونيَّفت على العقد من الزمان، فعدت إلى مطالعات في منتديات الأنترنات، غير أني فوجئتُ - وللأسف - بحرب شعواء، لا تبقي ولا تذر، في صفحات موقع "مزاب أونلاين".

ومما زادني أسفا كوني ممن يمكنهم الكتابة مباشرة في واجهة الموقع، لصداقتي الكبيرة بصاحبه، وللثقة المتبادلة بيننا والحمد لله تعالى، فهو من أحسن الشباب الذين عرفتهم خلالا وخلقا.

ولقائل أن يقول: إنَّ غيابكم هو من أسباب بروز مثل هذه الكتابات الحادة.

أقول: نعم، ولكن ليس للمرء أن يكون حاضرا في كل مكان، وسبحان الذي لا يشغله شأن عن شأن. ومع ذلك أدعو الله تعالى أن يغفر لنا قصورنا وتقصيرنا، إنه سميع قريب مجيب.

فلو كُتب لي أن أواجه هذا المشكل مرَّة أخرى، فسوف لن أجد في تاريخنا إلاَّ حقبات سوداء من الجهل بلغ فيها الناس هذا المبلغ من الفتن، ومن انحطاط الأخلاق، ومن العصبيات.

أقول ناصحا: تأملت - مثلا - الحوار الذي دار بين المكنى بـ: عبد الباقي، والمكنى بـ: عبد النور... فوجدت الاثنين ينتسبان إلى لفظ الجلالة، "الباقي"، و"النور"، ومع ذلك جمعتهم ألفاظ دلالتها التكفير الصراح، وبراءة الواحد من الآخر أكيدة.

ثم، تساءلت: من تسبب في هذا المنحى التكفيري اللامتسامح؟

هل يمكننا أن نعود عقدا من الزمان إلى الوراء، وننظر بعين الحق والبصيرة في المتسبب الأول، أو المتسببين الأول؟

في محاضرة ألقيتها منذ سنتين في مدينة تيهرت، نبَّهتُ إلى مثل هذه المطبَّات، وحذَّرت من مثل هذه المنزلقات، وبيَّنت خطر تعرُّض بعض الناس الذين لم يؤتوا علما ولا فقها إلى مسائل من صلب العقيدة، وجدلهم العقيم حولها. وقلت: إذا صاغ للعلماء أن يتحاوروا في هذه المسائل، وفي هذه التفاصيل، فلا يجوز للعامة أن تخلط فيها، وبخاصة أنَّ البعض ينتهي إلى قطع عذر المخالف له، وما هو بمخوَّل حتى يحق له أن يقطع أو لا يقطع...

وكنت دوما أخشى من التنابز بالألقاب، ومن الفتن وسوء النوايا، وتأكَّدت أنَّ كلَّ من يسيء الظنَّ، ويستعمل الألفاظ البذيئة، ويسخر بالناس أو بالعلماء أو بالأمم والمجتمعات... كل من يفعل ذلك سيبتلى يوما بمن يفعل به ما فعل... وما ربك بظلام للعبيد.

واليوم وقد اختلط الحابل بالنابل، وآذن ليل الفتن بنهار أحلك، فإني أدعو إلى الآتي:

1 - الصدق، فكلُّ من حمل كذبا، من أيِّ طرف كان، لا شكَّ سيفقد الحق، ويُضِل الناس بعلم أو بغير علم.

2 - التوقف عن التنابز بالألقاب، وتصحيح الأخطاء، وطلب العذر والمغفرة: فالظلم لا يبرِّر الظلم.

3 - الاهتمام بحال المسلمين اليوم، والخوف أن يحيق بنا ما حاق بكثير من أمم الإسلام، وما ربك بغافل عما يعملون.

4 - الإطلاق: عدم ادعاء الحق المطلق لي ولأتباعي، والخطأ المطلق لغيري ولأتباعهم. ولقد عشنا فتنا كبيرة في السنين الأخيرة منطلقها: أن يأتي فريق ويلعن من قبله، فيدعي الحق المطلق، ويبشر الناس بخير عميم، ثم تمر السنوات ويظهر أنه لا يعدو أن يكون جزءً من الحل، وليس هو الحل كله، ثم يأتي فريق آخر... وهكذا: كلما دخلت أمة لعنت أختها.

وأرى، أن يتحمَّل «مجلس عمي سعيد» مسؤولية الإصلاح، فإن الأمر قد بلغ مبلغه، ولا يتحمَّل أكثر، والأمَّة في حاجة إلى عافية، وإلى وحدة للصف، وإلى قوة لمواجهة ما يحاك ضد قيمها ومبادئها.

أرجو أن لا أواجه بأجوبة ملزمة، فإني لم أتبنَّ موقفا، ولم أقصِ أحدا، فكل ما أقصده هو الدعوة إلى الصدقة والمعروف والإصلاح بينَ الناس، وإلا فلا خير في نجوى تخرج عن هذه الثلاثة، والله تعالى موفقنا لما يحبه ويرضاه..

بعض الخلل، عن القرآن الكريم والفكر

نشرية النامي؛ عدد 3؛ ربيع الثاني 1428هـ - ماي 2007م. ونشر بموقع فيبكوس نات.

طالعتُ بشغف شديد جملة المقالات التي كتبها الطلبة والباحثون في هذه الأيام التي سافرت فيها إلى عمق الجزائر: أدرار. في إطار ملتقيين: الأوَّل من تنظيم الجامعة، والثاني من تنظيم الجماعة، فعدتُ وأنا كلي إعجاب وتقدير لهؤلاء وأولئك، على حسن الضيافة وعلى الاهتمام المنقطع النظير.

ومِن بين المقالات التي طالعتها أذكر: مقال الطالب الناصر بن إسماعيل بورورو، من البعثة العلمية الجديدة، والتي عالج فيها موضوعا جديرا، ألا وهو علاقة المسلم بالقرآن الكريم، بين الانفعال والفعل، وبين التأثير والتغيير.

فسأل الباحث عن الخلل وعن السبب في عدم تفاعل المسلمين مع كتابهم الكريم.

ولقد سبق أن بحثتُ هذا الموضوع في شهادة الدبلوم التطبيقية بجامعة الخروبة، وكان عنوان البحث: "مراعاة الأحوال النفسية والظروف الزمانية والمكانية في فهم الآية القرآنية، أسباب النزول أنموذجا". واستعنتُ في معالجة الموضوع بالإرمونوتيقا، وبمناهج أخرى من مناهج فهم النص.

واليوم، وبعد أزيد من عقد ونصف العقد من الزمان، يطرح الطالب بورورو ذات السؤال، وإني سأحاول بتوفيق من الله تعالى أن أجيب عن بعضه، متيقنا أن الإجابة الشاملة - من نتاج جهد واجتهاد جماعيٍّ منظم - لا نزال ننتظره، بل لا نزال نعمل للوصول إليه.

فمن الخلل نذكر:

❖ انحطاطُ المستوى العلمي للمتلقِّي: إما أنَّ القرآن الكريم كتاب علم وهداية، نزل ليرفع من المستوى العلمي والمعرفي لقرائه، أو أنه كتاب هداية ليس إلا، جاء ليبرر الجهل، ويمجِّد الإيمان الساذج.. لا شكَّ أنَّ جملة آيات القرآن تدل بما لا يدع مجالا للشك أن القرآن الكريم كتاب علم قبل أن يكون كتاب هداية، وهو يرفع من قدرات قرائه ومعارفهم قبل أن يدعوهم

إلى الإيمان، وهذا ما يفسِّر كون أول آيات القرآن نزولا، تدعو إلى العلم والتعلم دعوة صريحة واضحة لا مراء فيها، وهذا ما لا نقرأه في التورات ولا في الإنجيل...

❖ تدني المستوى الحضاري للمتلقي: كلَّما سما الإنسان حضاريا كان أقرب إلى الإنسان القرآني، وكلما تدنت مراتبه الحضارية كان أبعد عن القرآن الكريم، فالمنظم مثلا أفضل حالا من الفوضوي، والنظيف أقرب إلى دين الله من الوسخ، والمحترم لغيره أحب إلى الله من المبغض للناس... غير أنَّ تدني المستوى الحضاري للمتلقي جعله ينسخ من القرآن واقعا يبرر به تخلفه، ويصنع من الكرامات والادعاءات أوهاما يعيش تحت ظلها، ويظلم كلام الله تعالى من حيث يبغي خدمته، وقديما قالت العلماء: الجاهل لا يحسن العمل.

❖ الضعف اللغوي والبلاغي للمتلقي: اللغة وسيلة اتصال، إمَّا أن يفهمها المتلقي ويعمل بها، أو يجهلها فينكرها... وليس القول بالإعجاز البلاغي للقرآن نقيضا للقول بعالمية الدين الإسلامي، كما أشار الباحث في مقاله... ذلك أنَّ البلاغة ذوق، لا يحدها حد لساني، والبلاغة بلاغة في جميع اللغات، وصاحب الذوق البلاغي له أثر على المستمعين في جميع اللغات بلا استثناء، العالميةِ منها والبدائية... ولو أنَّ القرآن لم يكن كتاب بلاغة لما أثَّر في العربي ولا الأعجمي... وكونه كتاب بلاغة استطاع أن يلج إلى قلوب الجميع، وينال احترام الجميع.

فعمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - وهو الذي كان المثل والأنموذج في مقال الباحث، وقد أحسن الاختيار، كان:

❖ صاحب مستوى علمي قلَّ له نظير.

❖ وكان آية في الوعي الحضاري، ومدرسة في محاربة التخلف.

❖ وكان صاحب ذوق وبلاغة.

كل ذلك مجتمعا رفع بعمر وهو يستمع لآيات القرآن إلى حال «لم يتمكن فيه من مواصلة الإنصات، وفعلت الآيات فعلتها في نفسه، وسقط مغشيا عليه. ثم لم يفارق فراشه، وظل مدة شهر يعوده الناس في بيته!!...»

وأي إغفال لهذه الحقيقة العلمية سيجني على كلام الله تعالى ولا ريب. ولكن، قد يسأل سائل: فما بال الأميين، وغير المتعلمين؟ هل ننفي عنهم هداية القرآن؟

أقول، والله أعلم: عليهم - اتباعا لأوامر القرآن الكريم - أن يرقوا بمعارفهم، ويجتهدوا في طلب العلم، وهذه هي العزيمة التي أمر بها الشارع، ولا أعرف لماذا استطاع الماليزيون- مثلا - أن يقللوا من الأمية إلى حدٍّ اقترب فيه من الصفر، أما نحن فلا نزال نبرر الجهل ونشفق على الجاهل، والشفقة الحقة من الطبيب مداواة المريض لا مغازلته.

ثم إذا لم يتمكن، فعليه - اتباعا لأوامر القرآن الكريم - أن يستعين بالعالم والمفسر، وباللغوي والبلاغي، وبالمتكلم والفقيه... فسؤال أهل الذكر عبادة لرب الجلال سبحانه

"وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ" 7 سورة الأنبياء

"بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" 44 سورة النحل.

غير أنَّ بعض الناس - اليوم وفي وطننا - راحوا يشنون الحروب على العلم والعلماء، وجرَّؤوا الناس على أهل الذكر، وأقنعوهم أنهم مأمورون بتدبر القرآن بلا واسطة، وأنهم قادرون على إدراك الآيات البيِّنات بلا تفسير ولا بيان، لكن بمجرَّد تكرار الآيات البينات... حتى إننا لنحاور اليومَ بعض من لا يقيم جملة صحيحة واحدة، وهو جريء في تفسير القرآن الكريم، والدعوةِ إلى ذلك بلا هوادة.

والحقُّ أنَّ مَن تكلم في كلام الله، وفسر القرآن الكريم، بلا علم، يُخاف عليه من قوله تعالى:

"وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ" 47 سورة الحاقة

.. وإلغاء المفسِّر من مسار فهم القرآن الكريم، لا يعادل إلغاء الفقيه من المنظومة الفقهية فقط، لكنه سيحدث ضررا أكبر وخطرا أعظم...

الخصوصية المذهبية وقانون الأسرة: ملاحظات من باحث إباضي جزائري

نشرت في الصحافة الوطنية، ولم أعثر على النسخة في أرشيفي

❖❖❖❖❖❖

طالعت نصَّ "المشروع التمهيدي لقانون الأسرة"، المنشور بتاريخ 22 جمادى الثانية 1425هـ/09 أوت 2004، ثم جاءتني عدَّة طلبات، من صحفيِّين وباحثين وغيرهم، يسألون عن موقف "الإباضية" من هذا القانون، ويبحثون عن رأي فقهائهم من مصادرهم.

فرأيت من المتعيّن عليَّ أن أكتب مقالاً في الموضوع، أحاول أن ألتزم فيه بالفقه الإباضي، إثراء للنقاش والحوار، وإقامة للحجَّة أمام الله تعالى وأمام الخلق؛ لكنَّ ما سيأتي في هذا المقال لا ألزم به غيري، ولا أدعي أنني أنا الناطق الرسمي للإباضية، بل ثمة هيئاتٌ وعلماء أجلاَّء لهم حقُّ التمثيل، وهم المرجِع الأوَّل في مثل هذه القضايا.

وأوَّل ما أبدأ به تحليلي، بديهيات لا تخفى على أحد، منها ما يلي:

❖ أنَّ المسلم في الجزائر له مرجعيَّة مذهبية، وهو يعبُد الله تعالى وفقها، ولا يمكن البتَّة أن نمحو هذه المرجعيَّة بجرَّة قلمٍ، أو بنزوة عارضة، أو بادِّعاء موهوم.

❖ واجب المقنِّن والمشرِّع الجزائريِّ يتمثل في: تحويل هذه المرجعيَّة إلى نصوص قانونية، جاهزة للتطبيق في الإدارة والأحكام والمقاضاة... وغيرها. وليس له أن يعمد إليها فيحرِّفها أو يلغيها، مهما كان المبرِّر.

❖ أمَّا إذا توجَّب الاجتهاد في مسألة معيَّنة، أو العدول إلى رأي فقهيٍّ آخر، وبخاصَّة إذا كان شاذاً؛ فإنَّ هذا ولا شك مما يجوز، لكن شريطة أن يصدُر من مجتهد استكمل صفات الاجتهاد، وأن لا يكون فعلُه هذا تصيُّدا للرخص، أو اتِّباعا للهوى، أو نتيجة للجهل.

من هذا المنطلق أقول:

إنَّ القارئ لنصّ "المشروع التمهيدي" يسجِّل ملاحظتين أساسيتين، هما:

أولا – التوافُق الكامل في بعض المواد مع ما جاء في الشريعة الإسلامية، وهذا يُحسب للمشرِّعين، فيشكرون عليه ويؤجرون.

ثانيا- التلفيق الواضح في مواد أخرى، نرى ضرورة مناقشتها، تحريا للصواب، وبحثا عن الحقّ.

وأهمس في أذن كلِّ من شارك في صياغة النص، أو نشره، أو حتى فخامة رئيس الجمهورية الذي قد يوقِّعه، بأن يعتبروا في حركاتهم وسكناتهم شيئا واحداً هو: رضا الله تعالى، لا غير. وأن لا يخافوا في الله لومة لائم، أو قوَّة قويٍّ، فنحن نعتقد أنَّ الجزائر مسلمة ستنتصر بإذن الله تعالى إذا التزمت بإسلامها، وسيكون لها خلاف ذلك- والعياذ بالله- إذا ابتغت العزة من غير الله تعالى، ففي القرآن الكريم: "يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، ولله العزَّة، ولرسوله، وللمؤمنين، ولكنَّ المنافقين لا يعلمون"، وقال سبحانه: "ولينصرنَّ الله من ينصره"، وقال رسول الرحمة فيمن ترك هديَ الله وعدل عن هُدى القرآن: "من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله" (رواه الترمذي).

المسلمون عند شروطهم

أوردَ "النصُّ التمهيدي" جزءًا من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو: "المسلمون عند شروطهم..." ووظّفه فيما ينبغي أن يوظّفه فيه، ولكن بتطبيق نفس الحديث كاملا على بعض مواد القانون، نصل إلى وجوب إلغائها كلية، ذلك أنَّ تمام الحديث: "المسلمون على شروطهم، إلا شرطاً حرّم حلالا، أو أحلَّ حراما". ويفسِّره حديث بريرة الذي رواه البخاري في صحيحه، جاء فيه: "ما بال أقوام يشترطون شروطا ليس في كتاب الله؟ ! من اشترط شرطا ليس في كتاب الله فليس له، وإن اشترط مائة مرَّة"، ولا يفسَّر "كتاب الله" هنا بالقرآن فقط، بل إنَّ معناه- كما جاء في التمهيد لابن عبد البرِّ -: "كتاب الله عليكم: يعني حكمه وقضاءه. فكلُّ شرط ليس في حكم الله وحكم رسوله جوازه فهو باطل".

ونهيب بالمشرّعين أن يعملوا بهذه القاعدة الشرعية في كلّ ما يصدرون من مواد قانونية، في أي مجالٍ كان، وسيقدّمون بذلك للأمة الجزائرية خدمة جلى، ويكونون بحقّ رواد هذه الأمة، و"الرائد لا يكذب أهله"، وإن لم يفعلوا فإنهم سيفتحون أبوابا واسعة لمخالفة القانون، وسيُحرجون المواطنين أيما إحراج، ولا شكّ أنّ كلّ مسلم يخاف الله تعالى سيختار حكمَ الله على حكم العباد، وفي الحديث الصحيح: "لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف"، ويفسّره قولهم: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق".

لا نكاح إلاّ بولي

بالجمع بين المادة 7، التي تحدّد سن الزواج بـ 19 سنة للرجل والمرأة، وتعتبر من تزوّج قبل هذا السن برخصة من القاضي "قاصراً"، والمادة 9، التي تحدّد شروط الزواج بـ: "أهلية الزوج، الصداق، الولي بالنسبة للقصّر، وانتفاء الموانع الشرعية"، نستنتج أنّ المرأة إذا بلغت التاسعة عشر من عمرها تستطيع أن تزوّج نفسها، ولا تحتاج إلى إذن الولي.

وفي صورة افتراضية واضحة أقول: لنتصوّر امرأة، منتمية للمذهب الإباضي، زوّجت نفسها بموجب هذا القانون، فما الحكم الفقهي الذي سيصدره المفتي عنها؟

بالعودة إلى "شرح النيل وشفاء العليل" للعلامة قطب الأيمة الشيخ أطفيش، وهو المرجع الأساس للفقه الإباضي في المغرب، نقرأ ما يلي:

- إن حديث "لا نكاح إلا بولي" متواتر.
- ومعنى كون النكاح الذي يتم بلا ولي باطلا "أنّه يفرّق بينهما، ولو أجاز الولي" ذلك بعد الدخول، "لإطلاق البطلان في الحديث، والحديث التفريق".
- النتيجة من بطلان هذا النكاح أنّ هذه المرأة "تحرُم أبدًا على الصحيح، لأنّه إذا خرج من النكاح فهو سفاح" ويصير هذا الزواج، الذي تم بلا ولي، في معنى الزنى والعياذ بالله، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "أيما رجل زنى بامرأة ثم تزوجها، هما زانيان إلى يوم القيامة" ومعلوم أنّ الإباضية لا يجيزون نكاح المزنية إجماعا.
- والفرق الوحيد بين الزنى الصراح وهذا الزنى أنهما في الأولى يقام

عليهما الحدُّ الشرعي، أمَّا في هذه الحال فإنهما "لا يجلدان ولا يرجمان للشبهة".

فالحكم الفقهي إذن هو: أنَّ هذا الزواج باطل، ويفرَّق بين الزوجين، ولا يجوز لهما أن يتزوَّجا ببعضهما بعد ذلك.

إنَّ هذا المثل، لو صدر قانونٌ الأسرة على صيغته الحالية، قد يتحوَّل إلى واقع لا محالة، فما المخرج إذن:

- نبذُ الفقه واعتبار القانون الوضعيِّ، المخالف لحكم الشريعة تمامًا.
- الأخذُ بالفقه، وهذا معناه مخالفة القانون في هذه النقطة، جملة وتفصيلا.

لا شكَّ أنَّ النصَّ حتى ولو صدر فإنَّه سيصادَر من قبل الناس جملة وتفصيلا، فإنَّ المسلم لن يبدِّل بشرع الله تعالى، الصالح لكل زمان ومكان، رأيَ فريق من الناس مجاهيل، لا يُعرف لهم قدمٌ في الفقه المالكيِّ ولا في الفقه الإباضي.

أمَّا اكتشاف الفريق المشرِّع لفتوى الحنفية فهو نوع من التلفيق الباطل، يقول القطب: "وزعمت الحنفية أنَّ المراد بالمرأة الأمَة، وأنَّ نكاح الحرَّة بغير إذن وليِّها صحيح إن وضعت نفسها في كُفئها، ولم يقصرها في مهر مثلِها، وللوليِّ أن يخاصم الزوج حتى يكمله لها، أو يفرِّق بينهما، وهو بعيدٌ مردودٌ"، والملاحظ أنَّ الفريق أخذ من فتوى الحنفية شطرها الذي يخدم غرضه، وأعرض عن الشطر الثاني الذي لا يخدمه، وهذا هو عين التضليل، بل إنَّ القاضي "ولي من لا ولي له" في حال العضل فقط، وهذا مبسوط في كتب الفقه.

ثم إنَّ القطب علَّق على هذا الحكم بصراحة فقال: "وهو بعيدٌ مردودٌ"؛ ذلك لأنَّ الأحاديث صريحة في عموم "المرأة"، وليس فيها أيُّ تخصيص للأمَة دون الحرَّة، ولا تحمل موجبا للتخصيص.

سن الزواج

تحدِّد المادة 7 من القانون سنَّ الزواج بالنسبة للرجل والمرأة على السواء بـ 19 سنة، مع ترك المجال مفتوحا للقاضي أن يرخِّص فيما دون ذلك.

وهذا التحديد لا أساس له من شرع أو فقهٍ، بل هو مجاراة للدول الغربية، ومصادر الفقه الإباضي- والإسلامي عموما- واضحة وصريحة في جواز تزوج من هم دون ذلك، والواقع في الجزائر يخالف هذا التحديد، فعموم الزواج للإناث بخاصَّة في كثير من مناطق الجزائر يكون في سنِّ السادسة عشر، برضاها، وبطيب نفس... ولا يمس هذا من كرامتها شيئا.

وانظر في ذلك "شرح النيل"، "باب نكاح الطفل"، ففيه تفصيل للحكم الشرعي.

واعجب من نصٍّ قانوني لدولة ذات سيادة كاملة، يورد اسم دولة أو دول أخرى، وبخاصَّة دولة كانت مستعمرة ولا تزال تطمح في "إدامة التحكم والابتزاز"، واقرأ قولهم: "... وهي المعتمدة في العديد من الدول، ولاسيما فرنسا وتونس ومصر؟ !".

تعدُّد الزوجات

كلُّ ما جاء في النص القانوني في شأن تعدُّد الزوجات يصبُّ في غير صالح المرأة، ويكرِّس شقاءها، ويسمح بظلمها، فنقرأ ما يلي:

"تضيِّق هذه المادة من مجال اللجوء إلى تعدُّد الزوجات، وتقيِّده بعدَّة شروط، تتعلق بوجود ظروف تبرِّره، وتوفُّر نية العدل، إذ يجب على الزوج:

❖ إخبار كلٍّ من الزوجة أو الزوجات السابقة، والمرأة التي يرغب في الزواج بها.

❖ أن يقدِّم طلب الترخيص بالزواج إلى رئيس المحكمة، الذي يرخِّص بالزواج بعد التأكد من موافقة الزوجة الأولى، والمرأة التي يرغب في الزواج بها، وقدرة الزوج على توفير العدل، والشروط الضرورية للحياة الزوجية".

وثمة تلاعب سافر بالمصطلحات، ففي الفقرة الأولى تم الحديث عن "الإخبار"، وهو أمر طبيعي ومشروع، إذ أنَّ زواج السر مما نهى الشرع الحنيف عنه، بل الواجب فيه التشهير، وأولى الناس بذلك أهل المتزوج وذووه.

أمَّا في الفقرة الثانية فاستعل المشرع لفظ "الترخيص"، وأبسط إنسان يفرِّق بين "الإخبار" و"الترخيص" فالأوَّل غير ملزم، والثاني يحمل صفة الإلزام..

ولا شكَّ أنَّ أغلب النساء لا يمنحن الرخصة لأزواجهن بالتعدُّد، لا بسبب الخوف من عدم العدل فقط، ولكن لظروف نفسية واجتماعية معيَّنة، وهذا لا يمكنه في أي حال من الأحوال أن يحرِّم ما أحلَّ الله تعالى.

والنتيجة ستكون الآتي: أن يعمد الرجل المريدُ للتعدُّد إلى تطليق الأولى إذا لم تمنحه الرخصة، وستكون هي الخاسر الأوَّل في الموضوع، وسيتشرد الأطفال بالتبع. أو يتحايل على القانون بشتى الصور، منها التزوير؛ أو أنه - والعياذ بالله - يكون مع امرأة خليلا لا حليلا، لمانع القانون.

والغريب أن يجعل المشرِّع من هذا القانون مجالا للحرب، بل ويستعمل ألفاظا عسكرية، في موضوع من شأنه أن يُتناول بكثير من الحذر والحيطة، فنقرأ في المادة 8 مكرر:

"في حالة الغشِّ يجوز لكلِّ زوجة رفع دعوى قضائية ضد الزوج للمطالبة بالتطليق".

تنص هذه المادة أنه في حالة الغش المرتكب من قبل الزوج، يحِلُّ لكل واحدة من الزوجتين رفع دعوى قضائية ضدَّ الزوج للمطالبة بالتطليق.

وتهدف هذه المادة إلى حماية كلِّ زوجة من المناورات التي قد تصدر من الزوج".

فلقد حوَّل هذا النص الرجل الجزائري إلى فاقد للأهلية، وأوقعه في حرج من كلا المرأتين الأولى والثانية، واعتبره مناورا وغشاشا إذا أراد أن يثنِّي في الزواج، وأعطى للمرأة حقَّ القبول وحقَّ الرفض، أما هو فغُفل ومنزُوع القرار... الخ

وبديهي أنَّ مثل هذه النظرة العدائية تصدر عادة ممن لا يملك أدنى قدر من الرحمة، ولا ينظر إلى العائلة كوحدة متكاملة متراحمة، ولكنه يعتبرها خلية للحرب المتواصلة بين الرجل والمرأة، هذا وإن كان صادقا لدى بعض العائلات القليلة، فإنه لا يصدق على جميع الجزائريين، وحرص الجزائري على زوجته وأبنائه أكبر من كلِّ تقدير، في ظروف لم تكن دوما بالسهلة ولا بالميسورة.

ولا يقف النص عند هذا الحدِّ، بل يفتح إمكانيات كبرى للخلاف بين الزوجين حين يقرر أنه "يفسخ الزواج الجديد قبل الدخول، إذا لم يستصدر

الزوج ترخيصا من القاضي، ولم تقرر الفسخ بعد الدخول، لحماية الأسرة بصفة عامة، والأطفال الذين قد يولدون عن هذا الزواج"، فيعطيان للزوج، الذي يريد أن يثني وزوجته الأولى رافضة، طريقة لفعل ذلك بلا حرج، وهو أن يخفي زواجه الثاني حتى يتمَّ الدخول؛ لأنه بتمام الدخول سيكون محميا بموجب القانون.. أمَّا الزوجة الأولى فتسعى للحصول على جميع المعلومات عن حركات زوجها وسكناته، وتحتاج في ذلك إلى هيئة تجسُّس...

وكلُّ هذا لا يحل المشكل، بل يعقِّده، والصواب أن يتناول الموضوع حسب الضوابط الشرعية، وأن يؤمر الرجل بالعدل، وتخيَّر المرأة الأولى بين أن تبقى مع زوجها أو تطلَّق، لأنها تملك عصمتها، دون أن يكون رأيها في ذلك هو النافذ، أو هي صاحبة القرار والترخيص كما دلّ نص القانون. والحل الوحيد في الموضوع هو الوعي، وتقوى الله، ومعرفة الحدود والحقوق.

ولا شك أنَّ الجمعيات النسوية اللائي يحاولن الدفاع عن حقوق المرأة بالسعي لمنع التعدُّد، ينظرن إلى الموضوع من جانب واحد فقط، ويغفلن مئات الآلاف من العوانس، ولا ينظرن إلى معاناتهن ورهقهن، فليست المرأة هي التي فازت بزوج وكفى، وغيرها لا حقَّ لها ولا اعتبار.

أمَّا الجانب الخطير من هذا الإجراء، ومن بعض مواد القانون الجديد، فهو تسهيل عملية السفاح على حساب النكاح، والتشبه بتونس التي: صار فيها اتخاذ الخليلات والمومسات أيسر من التعدد في الزوجات، بموجب القانون الفاسد، وانتشرت سوق الدعارة في البلاد شرقا وغربا، بطريقة لم يسبق إليها من قبل. هذا ما يراد بالجزائر، بشتى الوسائل الإعلامية والخفية.

فلا يقبل من المشرِّع الجزائري أن يغفل هذه النقطة، أو يستهين بها؛ لأنها قاصمة الظهر للأمم والدول والحضارات، ولا شكَّ أنَّ المشرِّع في الجزائر لا يقصِد إلى ذلك، ولا يريده، ولكن ليحذَر من استصدار مواد قانونية تكرِّسه، من حيث يدري أو لا يدري.

الجزائر والتعايش المذهبي...

وأخيراً، أنهي هذا المقال بالتذكير بأنَّ الخصوصية المذهبية في الجزائر محميَّة بموجب الدستور، الذي يقرُّ أنَّ الإسلام دين الدولة، ولكلِّ مسلم الحقُّ في ممارسة شعائره وفقهه بما يرضي الله تعالى، ولقد كان -للمذهب الإباضي، والمالكي مثلا- في العهد الاستعماري، محاكمُ خاصة، يُحكم فيها في المنازعات والأحوال الشخصية، مما يقع بين اثنين من نفس المذهب، ولم يكن إيجاد هذه المحاكم ولا الدفاع عن بقائها بالأمر الهيِّن، بل إنَّ العلماء اجتهدوا وناضلوا من أجل ذلك، وتعرَّضوا للكثير من العنت والإرهاق، ولكن لم يأخذوا الدنية في دينهم.

وليس من المعقول أن نفقد هذا الحقَّ في عهد الحريات، وفي عهد يعرف فيه التعايش المذهبي درجة من الكمال، ويقدِّم فيه الجزائريون للعالَم أروع مثال، في أننا نختلف في الفروع وليس وفي الأصول، وأننا نجتمع فيما اتفقنا فيه، ويعذر بعضنا البعض فيما اختلفنا فيه.

ولاشكَّ أن كلَّ مسلم في الجزائر يجد ما أقوله واقعا مجسَّداً، ويريد أن تُحمى خصوصيته الدينية، ويدافع عنها، إقامةً للحجة واجتهادا في النجاة عند الله تعالى، ويحرص على أن يكون ذلك في جو من التسامح والرحمة، فلتكن غايتنا الوحيد: إرضاء الله تعالى.

وتبقى بعض المواد في حاجة إلى نقاش علميٍّ رصين، عسى الله ييسِّر وقتا آخر نتعرَّض لها، أو يفعل ذلك بعض المتخصصين والفقهاء، فليس هذا الزمان زمان صمت وتخاذل، بل هو عصر مقارعة للحجة بالحجة، ووقت إقامة الحجة والدفاع عن الحق، في حدود الشرع الحنيف مصداقا لقوله تعالى:

"ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن".

الشيخ عدون

قطب المخلصين، وإمام العاملين

جريدة البصائر: عدد 197؛ الاثنين 10-3 جمادى الأول 1425هـ - 28-21 جوان 2004م. وأصل المقال مداخلة ألقيت في دار الإمام، بمناسبة حفل تكريم فضيلة الشيخ عدون. ثم نشر في كتاب «الشيخ عدون بأقلام أصدقائه وأبنائه»، نشر جمعية التراث سنة 2009، إعداد الدكتور محمد ناصر بوحجام.

الحمد لله وحده، نستعينه ونستهديه، والصلاة والسلام على صفي الله محمَّد الأمين.

مشايخي الأجلاء، أساتذتي الفضلاء، سلامًا وتحية واحتراما.

وبعد، فقد تلقيت هاتفا كريما من أستاذ كريم، هو شيخي محمد الهادي الحسني، طالبا مني المشاركة في اليوم التكريمي التاريخي للإمام الشيخ عدون حفظه الله تعالى، وعلاقته بالشباب أبا ومربيا، فطلب مني الأستاذ أن أتخذ علاقتي به أنموذجا، غير أني أحجمت، وما لبثت أن أقدمت لسببين هما:

❖ أنَّ كلَّ ما سيرد في هذه المداخلة إنما فضله على الشيخ عدون، وليس لي منه شرو نقير.

❖ أنَّ الصراحة والصدق هما السمة المميزة لهذه الكلمات، وهي خالصة من قلب مخلصا لله تعالى إن شاء الله.

فإن أكن قد قصُرت فإني يقينا ما قصَّرت، ولله المنَّة والفضل.

حادثة وحديث:

يُذكر أنَّ طفلا فتيًّا، بلغ من العمر تسع سنين أو تزيد، حظي يوما ما من عام 1911م بدعاء مبارك من شيخ وقور، وبمسح خفيف على رأسه، مع رُقيًا شرعيةٍ، لطالما حرَصت الأمهات المخلصات على استجلابها في مثل

هذه المناسبات، طلبا للبركة، وابتغاء لصلاح الذرية... فالنية الخالصة لا تخطئ طريقها إلى الله تعالى، وإنها لتشئ العظماء والعباقرة، وتبني الأمم والحضارات... فقديما قيل: «ومن ذاق عرف».

ليس ذلكم الشيخ سوى قطبَ الأيمة الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش، وما الطفل الوديع إلا أبانا الروحي قطبَ المخلصين الشيخ عدون أمدَّ الله في أنفاسه[4] .

ولقد استفدت من الحادثة والحديث، وقبضت قبضة من أثر بركات القطب فلم أنبذها، يوم حضر الشيخ مناقشة أطروحة الدكتوراه في جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة سنة 1423هـ/2002م، فزيَّن المناسبة بجلاله وجماله، وكان رجلَها وإمامها وواسطة عقدها، فأسرعتُ يومها - بإيعاز من أمِّ الربيع - إلى تقديم ابني الوحيد "الربيع"، وهو في عامه الخامس، إلى الشيخ العالم وقد أدرك المائة من السنين. فوضع يده على رأسه، ودعا له بالإيمان والعلم، وبالنصرة والصلاح... وأنا اليوم أرجو خيرا، وأنتظر بشرا، علَّ التاريخَ يعيد نفسه، وعلَّ الابن يكون يوما ما من جملة الرواد، فيتحقَّق الحلم، وأبلغ المنى.

الثقة من أول يوم:

إنَّ الذي ربط خيط العلاقة بيني وبين الشيخ عدون هو أستاذي الدكتور محمد ناصر، ويبدو أنه قد أثراني عنده أيَّما إثراء، فكبرتُ في عينيه، ونزلتُ من قلبه منزلة عليَّة، ولقد كنتُ دوما أحسُّ أنني أدنى من هذا المقام السامق، فأتحجَّر قلقا ثم أتقطَّر حياء، ولكنِّي مع ذلك أعاود الكرَّة "فأتَّبع إليه" - دون أترابي - "سببًا"، علي أبلغ منه مجمع البحرين: بحرَ الخلق، وبحر العلم... أو أمضي حقُبا،

"وَمَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (فاطر:2).

ولقد لمستُ هذه الثقة في كامل مسيرتي العلمية والعملية:

- تحت كنف جمعية التراث أمينا عامًّا،
- وفي ثنايا معهد الحياة أستاذا لمناهج البحث،

- وضمن جمعية العلماء سكرتيرا للتحرير،
- وعند مكتب الدراسات العلمية التربوية مشرفا ومسؤولا...

جمعية التراث:

في رمضان من سنة 1418هـ/جانفي 1998م، أنجزت مشروعا لإنشاء دورية الحياة، وصغتُ تقريرا شاملا في ذلك، ثم سلَّمته للأب الروحي الشيخ عدون، لينظر فيه فيقلِّبه، ويرفضه أو يقبَله... فتلقَّاه - مشكورا - بعين الإعجاب والثناء، وأعطى لي إشارة الانطلاق، على بركة الله، فشرعتُ في إنجاز العدد الأوَّل من الدورية، رغم اعتراض البعض وتخوف الآخرين... وها نحن اليوم نشرف على إصدار العدد الثامن[5]...

وإنَّ البعض ليشكُّ في كون الشيخ هو الرئيس الفعلي للدورية، ولكنِّي أؤكِّد أنَّه يعمل عمل الرئيس وأكثر... فهو الذي أمر بميلادها، وهو الذي بإخلاصه يحميها، وهو الذي بكرمه يموِّل طباعتها، وهو الذي بصبره يقرأ مقالاتها مقالا مقالا، وهو الذي بحزمه ينقد ما يجب نقده، ويستحسن ما يرى حسنه... دون عاطفة ولا اعتبار.

ولقد كتبت مقدِّمة للدورية، في عددها الخامس، عبَّرت فيها عن هذا المعنى، فقلت: «ولقد تضافرت في إنجاح المشروع عدَّة أسباب، أمثلُها - بعد فضل الله - عنايةُ والدنا الروحي فضيلة الشيخ عدون حفظه الله تعالى، فهو الذي تقبَّل الفكرة يوم استهلَّت جنينا، وأذَّن له وأقام، ولم ينس السنَّة فتكرَّم بالعقيقة، وكان دائم السؤال عنه، ودائم الإلحاح، ولا عجب فروح معهد الحياة من روحه المباركة، وروحه الطيبة من روْح الله ومدده، وهذه من تلك».

ولنا في هذا نماذج كثيرة، منها هذا الأنموذج الحي:

كتب الباحث سليمان ناصر مقالا نقديا في الاقتصاد، قرأ فيه فتاوى العلامة البكري، ونقد بعض الجوانب، وأظهر بعض الأخطاء، ثم إني توجَّستُ خيفة من طبعه، وعدلت عن ذلك في العدد الرابع

من الدورية، ولكنَّ الشيخ أنَّبني وأمرني بإصدار القراءة في العدد الخامس، وقال: «لا خوفٌ عليك، أنا الذي أتحمَّل المسؤولية، ومن يرى فيه خلاف الحقِّ فعليه بالنقد، والعلم سجال».

والشيخ عدون هو الذي دافع عن "معجم أعلام الإباضية" إلى يوم صدوره، وحرص على تحقيق "الإباضية بين الفرق الإسلامية" إلى حين إنجازه وطبعه... بل، وله في كلِّ خطوة من خطوات الجمعية سبب وأيُّ سبب. فأعجب به من شاب في روحه وفكره، وأكرم به من شيخ في جسده وعمره... ولله في خلقه معجزات.

جمعية العلماء فوق كلِّ اعتبار:

كان يوما جميلا من أيام الربيع، تلقيت فيه هاتفا من أستاذ أحبُّه في الله، هو الدكتور عبد الرزاق قسوم[6]، بمناسبة عزم المشايخ على إحياء "جمعية علماء المسلمين الجزائريين"، وحرصهم على أن تكون لجميع الجزائريين كما كانت يوم النشأة الأولى، فأخبرني بأنَّ الاختيار وقع عليَّ، وطلب مني الالتحاقَ في أقرب الآجال، فصرتُ حينها في أمر مريج: بين مسؤوليات محلية ألقيت على عاتقي، ومسؤوليات وطنية تراءت لناظري. أأقدِم أم أحجم؟

وقلت بعفوية: سأستشير الشيخ عدون، وأعمل برأيه، فإن رضي رضيت، وإن أبى أبيت.

فيمَّمت وجهي شطر القرارة، وما إن عرضت الموضوع على الشيخ عدون حتى قال: «يصعب علينا أن نهدم سورا لنبني سورا، ولكنَّ السور العام أولى من السور الخاص، فتوكَّل على الله، وباشر مهامك، وليكن رائدك الإخلاص».

ثم، التحقتُ بركب العلماء في جمعية العلماء، وتمدرستُ على يد الشيخ عبد الرحمن، والدكتور قسوم، والشيخ الحسني... ولا أزال طالب علم كطفل يسبح على الشاطئ، فيقال عنه: إنه قد اقتحم البحار. وفي مثل هذا

المقال يقول المثل: «لقد استسمنت ذا ورم».

مكتب الدراسات:

يوم عزمت على إنشاء مكتب للدراسات التربوية، وعملت على تأسيس مدرسة خاصة – في الحميز - بمقاييس علمية وإيمانية، رفقة ثلة من الأخيار؛ كان أوَّلَ من سألت والدي الشيخ عدون، وبخاصَّة أنَّ عواصف الرفض كانت هوجاء من أناس آثروا الإحجام على الإقدام، فما كان من الشيخ إلاَّ أن أعطى لي الوقت الكافي، ليفهم غايتي وأهدافي، وبعد مدة صاغ مقولته التاريخية: «إننا قد أوجدنا الحلول لعصرنا، فعليكم أنتم أن توجدوا الحلول لعصركم»، ثم قال في مناسبة أخرى: «إننا نعيش عصرا متطورا، ولذا فنحن في حاجة إلى مدرسة متطورة».

فكان الشيخ عدون الملاذَ الأوَّل بحمد الله، والصورَ الذي سخَّره الله لنا ليحمينا من شكِّ الشاكين، وعرقلة المعرقلين...

واليوم وقد ظهر الصبح لذي عينين، وأشرقت شموس الحق لكل مبصر، أقولها صريحة: ليس لأحدٍ من فضل في رياح التغيير إلاَّ للشيخ، فهو الآمر وهو المبارِك، وهو الداعي وهو الحامي... وسبحان الذي يسخِّر من يشاء لما يشاء، متى يشاء، وكيفما يشاء.

حفظك الله شيخنا حيا، ورحمك يوم تلقى الله وهو عنك راض، والله ندعو أن يقرَّ عينيك بنوال رضاه، وينزلك الفردوس الأعلى، فيزوجك الحور المقصوراتِ في الخيام، تترقق اللغة العربية من شفاههن غضَّة طرية، فلا لُكنة ولا لحن، ولا تصحيف ولا تحريف، فتنال بإذن الله تعالى الحسنيين، وترزق إن شاء الله الأمنيتين...

نحو فريق وطني للعلماء: او كيف نستفيد من نصرنا المؤزّر؟

جريدة البصائر: عدد 471؛ الاثنين 13-07 ذو الحجة 1430هـ - -23 29 نوفمبر 2009م. وقد نشر كذلك بموقع فيبكوس نات.

العاقل هو الذي يستفيد من فوزه وخسارته على السواء، ذلك أنّ الاغترار بالنجاح أشدُّ ضررا من القنوط حين الفشل... وهذا فريقنا الوطني بالأخضر والأبيض يحقّق نصرا مؤزّرا في مباراة وصفت وتوصف بالملحمة، فألف مبروك له ولنا جميعا.

وإنا لنتساءل عن سرِّ هذا الفوز الكرويّ التاريخيّ، ولا نجد جوابا إلاّ نقاطا تالية، وهي:

1 - توازن شخصية اللاعبين، والتزامهم بقيمهم ودينهم وتراثهم، واعتزازهم بوطنهم وبلادهم وأهليهم، وعدمُ اغترارهم بالبلاد الأوروبية التي جاء أغلبهم منها، وقد صدق فيهم قول القائل: "إعُوم العوّام وما ينساش اكساتو"

2 - العمل الدؤوب بلا هوادة، والاجتهادُ والجهادُ بلا كلل ولا ملل؛ ذلك أنّ النصر حليف العاملين، والفشل رهين الكسالى.

3 - حملُ هموم الأمّة الإسلامية، والاهتمام بشؤونها؛ وإنك لترى هؤلاء اللاعبين - والمشجعين معهم - يتشرّبون قضية فلسطين في قلوبهم وعقولهم وألسنتهم، فيبدو ذلك تفانٍ وعناد وإصرارٌ في جوارحهم وحركاتهم وسكناتهم.

4 - ذوبانُ الطائفيات والنعرات والمحليات في بوتقة واحدة هي بوتقة الدين والوطن، وتكذيب دُعاة الانفصال والانفصام، والردُّ الصريح على أحلاس التفريق وشياطين التمزيق.

5 - محاربة المحسوبية في اختيار أعضاء الفريق الوطني؛ فلقد تحمّل المدرب وطاقمه كامل المسؤولية في انتقاء "من يليق لها"، وامتلك الحماية

المطلقة من رئيس الجمهورية - مشكورا ومأجورا - أنّ "هواتف المحسوبية والمصالح" لا ولن تؤثر على مسار فريقنا هذا، فعادت بالتالي إلى السطح قاعدةُ: "البقاء للأصلح" لا للأقوى، وقاعدة "أيكم أحسن عملا".

6 - تناغم الفريق مع الجمهور، وتلاحم الجمهور وراء الفريق، ممّا ولّد روحا قريبة من "روح أيام الثورة التحريرية المباركة"، يوم كان شباب الجزائر في طليعة جيش التحرير، يُذيقون فرنسا الأمرّين، وينالون من الشعب الدفء والحماية والدعم.

7 - تصحيح الكثير من الأخطاء التي لزمتنا لعقود، من مثل "النرفزة والغضب"، و"الغرور والاستهزاء"، وأحيانا "نبذ الذات والاستنقاص منها"... فلقد بدا هؤلاء الشباب أكمل خلقا وخلقة مما ألفنا في كثير من شبابنا.

...كيف نستفيد من نصرنا الموزّر؟

الآن وقد انتهت المباراة، وذهب كل إلى سبيل، أما آن الأوانُ أن نستفيد عِبرًا عظيمة وحقيقة من هذا النصر المؤزّر؟ أليس من الحكمة أن نعمم ملحمة الكرة إلى المجالات الأخرى: التربوية، والعلمية، والاقتصادية، والصناعية، والزراعية؟

وإني لأدعو مسؤولينا أن يقفوا إلى جانب كلِّ شاب جزائري صادق، ويقدِّموا له الدعم غير المشروط، وأن يقفوا جدارا صادا أمام كلّ محسوبية وجهوية واعتبارية... فلنُعِد الأمور إلى نصابها، ولنُسنِد المناصب إلى أهليها، وقد قال رسول الرحمة عليه السلام: "إذا أسندت الأمور إلى غير أهلها فانتظروا قيام الساعة"

ولنفرح بنجاحات علمائنا مثل فرحنا بنجاح فريقنا أو أشدّ، ولننشئ فريقا وطنيا "للعلم والاختراع"، وآخر "للاقتصاد والتجارة"، وثالثا "للصناعة والزراعة"، ورابعا... وخامسا... ولنعط كلّ واحد من هؤلاء حصّته وحقّه من الدعم والقبول، وليكن كلُّ واحد منهم - قبل ذلك وبعده - صاحب "واجب" لا طالب "حق"؛ فالواجبات هي التي تصنع الحضارات، وهي التي تضمن الحقوق المتواليات؛ أمّا البكاء على أطلال "الحقوق" فقاتل لها وللواجبات على السواء...

هكذا يا شباب الجزائر كونوا أو لا تكونوا...

ومرة أخرى، مبروك للجزائر، والعاقبة للنصر المبين:

❖ في الوطن، على الجهل، والكفر، والفقر، والظلم...

❖ وفي فلسطين، على اليهود الظلمة، وعلى الاستكبار العالميّ الغاشم والظالم...

❖ وفي السودان، وفي مصر، وفي سائر بلاد المسلمين... على الفرقة، وعلى التفاهات والسخافات والجهالات.."ويومئذ يفرح المؤمنون، بنصر الله، ينصر من يشاء، وهو العزيز الرحيم"، "ولينصرنّ الله مَن ينصره، إن الله لقويٌّ عزيز".

ملاحظة: كل مؤمن بالله متق طائع هو أخونا في الله، نحبه ويحبنا، وكل كافر بالله فاسق عاص هو في براءتنا إلى أن يتوب، مهما كانت جنسيته ووطنه، من مصر أو من الجزائر أو من جنوب إفريقية أو من كندا... "إنما المؤمنون إخوة"، "إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير".

ما النامي؟ ولماذا النامي؟ ولمن النامي؟

افتتاحية نشرية النامي، العدد الأول: 12 ربيع الأول 1428هـ - 31 مارس 2007م.

أسئلة تسابق الشفاه، فتفرض علينا صوغ الجواب، قبل أن تتركَّب الكلمات؛ وتغازل الآذان، وتستقرُّ في العقول الطيبة الطاهرة.

ما النامي؟

النامي نشرية داخليةٌ، ودورية شهرية، وهي نماء ونموٌّ طبيعي لمشاريع مكتب الدراسات العلمية، التي تقوم على أسس من البحث العلمي، والتحليل الفكري؛ بعيدا عن التهويل والتهوين، وفي منأى عن الارتجالية والادعاء...ولا شكَّ أنَّ من أمثل الأدوات والمفاهيم المنهجية التي تستند إليها هذه المشاريع هي: التخصُّص، والتفرغ، والعمل الجماعي، والأنموذج، والتخطيط، والنقد، والنسق المفتوح، وتحويل المعلومة إلى معرفة، ونظم المعلومات، والتأهيل المتواصل...

ومِن بين الرؤى المستقبلية التي يعمل وفقها مكتب الدراسات تبرز الرسالة والرؤيا، والأهداف العامَّة والخاصَّة، ثم الأهداف الإجرائية، والأولويات، ومثلَّث النجاح... وفي جميع ذلك تشكل المعلومة، ثم التأهيل المتواصل، عصب المشروع الفعال، فبها نكون ويكون، وبغيرها لا يكون ولا نكون...

لماذا النامي:

نشرية النامي تحلُّ مِن المشروع في قلبه، فهي ضمان للتكوين الذي يحقِّق الكفاءة في الأداء؛ أمَّا سيولة المعلومة فتؤسِّس للمنهج الجماعيِّ، وتساعد على رسم خطوط المستقبل، وبدونها يتحوَّل التخطيط شعارا، والرسالة هتافا، والأهداف سرابا.

لمن النامي؟

نشرية النامي – بالتالي – هي أداةٌ ووسيلة لكلِّ الأعضاء الفاعلين في مشاريع مكتب الدراسات العلمية: مِن التلاميذ والطلبة، والمعلِّمين والأساتذة،

والآباء والأمَّهات، والموظَّفين والإداريين، والمؤسِّسين والمساهمين....

فالتلميذ، داخل القسم، إذا فقد القلم والقرطاس فقدَ إمكانيات عرض مخرجاته (outputs) حتى وإن كانت مُدخلاته (inputs) جيِّدة ومركَّزة. إنَّه يفقد القدرة على تحويل المعلومة إلى معرفة، ويضيِّع بالتالي أهمَّ غاية من العلم، وهي: التأثير في العالم بصورة إيجابية.

والأعضاء الفاعلون في مشاريع مكتب الدراسات بدون نشريةٍ ووسيلةٍ للاتصال والتبليغ، تفتح أمامهم نافذة الخروج من المؤسَّسة إلى العالم الخارجي، وتساعدهم على كسر الروتين، وتدفع بهم إلى التنافس الجريء والبريء... بدون هذه الوسيلة سيغدون مجرَّد منتمين، ولا يحقِّقون صفة النماء والنمو...

ولذا فإن اعتناءك - أيها الفاعل - بالنشرية كتابةً، ورسمًا، وتزويدًا، وقراءةً، ونقدًا، وتحسينًا... هو الدليل الأوضح على أنك تخطَّيت مرحلة التلقين إلى مرحلة التثمين، وغادرت مقعد الاتِّباع إلى مراقي الإبداع...

فأنت - أيها الفاعل - بها وهي بك.

وأنت منها وهي منك.

وأنت لها وهي لك.

فجميعنا ينتصر لها ابتغاءً لرضوان الله تعالى، واجتهادا في تحقيق رسالة "التغيير في المنهج من منطلق قرآني"، بهدف "إعداد أفراد ومواطنين مؤمِنين، فعَّالين في محيطهم، يعيشون عصرهم"... ثم صناعة حضارةٍ عالميةٍ، تحمل رسالة السِّلم، والمحبَّة، والسعادة للبشرية الحائرة والمضطربة...

فاللهمَّ مكِّن لدينك في الأرض، واجعلنا سببا للتمكين.

تحقيقات وحوارات

حوار مع الأديب السوري
الدكتور نزار اباظة

جريدة البصائر: الاثنين 02 ربيع الأول 09-

ربيع الأول 1421/ 05 جوان- 12 جوان 2000

الدكتور نزار أباظة أديب ومفكِّر من سورية الشقيقة، زرناه في مقرِّ عمله، بإدارة "دار الفكر" بدمشق، وأجرينا معه حوارا حول تجربته في كتابة القصَّة القصيرة، يسعدنا أن نفيد القارئ الكريم بها:

س-بداية مع تجربتكم في كتابة القصة القصيرة، كيف بدأتم كتابتها، في أي سن، ما هي الدوافع؟

الجواب: بدأتُ كتابة القصَّة القصيرة منذ زمن طويل، وأنا طالب في المدرسة الإعدادية، وكانت التجربة ممتعة لي، شجَّعني عليها أساتذتي، ثم تطوَّرت في المرحلة الثانوية بالنشر في مجلة المدرسة، وفي الصحف التي كانت تشجِّع الشباب، ثم زاد اطلاعي على أعمال الأدباء العرب الكبار المشهورين في القصة القصيرة، فكتبت، وجعلت أجمع قصصي، حتى نشرتُ ما لديَّ في أوَّل عمل صدر لي مجموعة قصصية بعنوان (غزل البنات) في أواخر السبعينات.

س-لا شك أنَّ الهدف من كتابة القصة يختلف من أديب إلى أديب، ومن مدرسة إلى مدرسة، فما هي أهدافكم الأساسية من وراء كتابة القصة؟

الجواب: كانت الدوافع متمثِّلة في شعوري بضرورة التعبير عن الأخطاء التي أحملها، وعن مشاعري التي كانت تدور في داخلي، وهي العمل على إصلاح المجتمع، وتصوير القوى الضعيفة.

س- هل لكم تآليف أخرى في هذا الفن أو قريب منه؟

الجواب: بعد مجموعة قصص (عزل البنات) كتبت مجموعة (وتبقى الأحلام)، ثم مجموعة (خوف لا ينتهي)، ولديَّ روايات مخطوطة قيد الإنجاز، أعمل على إصدارها حاليا، ولعلي أنتهي منها في السنة القادمة (إن شاء الله).

س-ماهي الفكرة الأساسية التي تدور حولها قصة (خوف لاينتهي)؟

الجواب: تدور حول شخصيات تعيش حياتها خائفة مِن أمرها، ثم لا يزيدها هذا الخوف إلاَّ هلعا وفزعا.. والمطلوب أن ينزع الإنسان عنه الخوف تماما، ليحيا حياة هادئة سوية.

س-يلاحظ القارئ أنَّ أسلوبكم الرائع في هذه القصَّة هو من قبيل السهل الممتنع.. فهل هذا يعني أنَّ عملكم موجَّه للقارئ البسيط قبل القارئ المتخصِّص، وما السر في تفضيلكم لهذه الأسلوب؟

الجواب: عندما أكتب أقصد بالطبع شريحة المثَّقفين العامة، ولذلك أكتب بلغة سهلة غير متكلَّفة، وهي مناسبة للقصص، وهذا الأسلوب- فيما يبدو- مناسب لتكويني الذاتي الذي لا يميل إلى التعقيد.

س-في القصة ذكرٌ لأماكن وأسماء ووقائع (انظر مثلا طيف الثروة) فهل هي حقيقة، وما هي حدود الخيال الأدبي، وحدود الحقيقة في هذه القصص؟

الجواب: الأماكن التي ذكرتها والأسماء والوقائع حقيقية، وقد جرت هذه القصص في تلك الأماكن، وأنا آخذ فكرة قصصي عادة من الواقع، ثم أضيف إليها الجوانب الفنية اللازمة، ومن هنا تبدو قصصي حقيقية.

س-فضَّلتم، في أغلب قصصكم، النهايةَ المفتوحة للقصة، أي دون فكٍّ العقدة، ودون التدخل باتخاذ رأي إيجابي أو سلبي تجاه الموقف، فما الرسالة التي توجهونها من خلال هذه الطريقة؟

الجواب: إنني أحس أنَّ النهاية المفتوحة تناسب القصَّة، وهذا أسلوب كثيرٍ من الأدباء؛ ذلك لأنني أعتقد أنَّ الحياة قصَّة مفتوحة لا تنتهي، وأنه يجب أن أثير القارئ وأربطه معي، ليشترك في نسج النهاية التي قد تعجبه. وربما تكون النهاية المفتوحة في القصَّة أنسب لبعض القراء.

س- للمرأة حضور قوي في عملكم (مثلا زوجة الشيخ أحمد، أو خوف لاينتهي نفسها) فمن هي المرأة المثالية في نظركم، سماتها ومواصفاتها؟

الجواب: حضور المرأة في القصة أمر طبيعي، ولا أتصور قصَّة لا تكون فيها امرأة، وليس معنى ذلك حضورا عاطفيا يتعلق بالحب، بل حضور عاطفي يتعلق بشؤون الحياة كلِّها، بما تثيره المرأة في الدنيا أمًّا، أو زوجة، أو أختا، أو بنتا... وبما تنثره من أخطار متشعبة، والمرأة المثالية في نظري تلك التي تثير عقل الرجل وعواطفه معًا، أمَّا أن تثير واحدا منهما فقط، فليست هي التي أفضِّل.

س-أنا أعتبر قصصكم مدرسة متزنة في مفهوم الحب، فلا هو بالحب المدرسي الأجوف، ولا هو بالحب النزاري (نسبة إلى نزار قباني لا إلى نزار أباظة) المزيف، فهل من كلمات تلخص فيها مفهومكم للحب؟

الجواب: الحبُّ مدرسة عظيمة، لا يفهمها كثيرون من الرجال والنساء على السواء، فهو يشجِّع الإنسان السوي ويدفعه إلى الأفعال العظيمة، ومن رُزق حبًّا طاهرا فقد رزق خيراً كثيراً.. والذي لا يعرف الحب الحقيقي فهو إنسان محروم (السعيد من أسعده الحب).

س-أهديتم الكتاب إلى أم إيمان (زوجتكم). فهل قرأت الكتاب بعد صدوره، وكيف كان رد فعلها، ألم تلاحظ عليكم أنكم تعرفون الكثير من مداخل النفس، وبخاصة نفسية المرأة؟

الجواب: أفضل أن لا أجيب.

س- من هم أبرز القصَّاص في نظركم؟

الجواب: قرأت لكثير من قصَّاص الوطن العربي، لنجيب محفوظ، ومحمد عبد الحليم عبد الله، ونجيب الكيلاني، وقصص توفيق الحكيم ومسرحياته، وما كتب طه حسين، والمنفلوطي، والمازني في قصصه السريعة وخواطره، ومحمود تيمور، ومحمد حسين هيكل.. وآخرين.

أمَّا أبرز الذين كتبوا القصة فليس بإمكاني أن أحكم حكما دقيقا في هذا المجال، وإن كنت أفضل من يكتب بأسلوب شيق، وأكره القصص ذات الأساليب التي تنفر القارئ.

س-ما موقفكم من القصص المكشوف، الذي يتبناه الحداثيون والحداثيات (إن جاز هذا الجمع)، هل تستسيغونه، ما هي إيجابياته وما هي سلبياته؟

الجواب: لست أحب أسلوب الحداثيين الذين يعتمدون إثارة الشهوات الرخيصة، وسلبيات هذا النوع من القصص أكثر من إيجابياته... الأدب في نظري هو الذي يعمِّق فكر الإنسان، ويكسب القراء تجربة جديدة، وأمَّا أن يكون للمتعة فقط فهو أدب رخيص.

س- هل شهرة قصة أو قصَّاص من خلال وسائل الإعلام يعني نجاحه، وما هي مقاييس اختيار النص إعلاميا، حسب تقييمكم؟

الجواب: قد يشهِّر الإعلام بعض القصَّاصين، وإلى حدٍّ ما، ولكن الأيام هي التي تكشف الزيف من الأصالة، غير أنَّ الأصيل إذا أعانه الإعلام ارتفع فيما أظن، والعاملون بالإعلام لهم موازينهم، وكثيراً ما تخطئ، هذا مع عدم اتهامنا لأحد.

س- هل لكم اهتمام بقصاص يكتبون باللغات الأجنبية، رجاء التوجه إلى نماذج؟ ما هي القصة التي قرأتموها مرارا وتودون لو تقرؤونها مرات أخرى؟ كلمة أخيرة..؟

الجواب: يبدو أنَّ اهتمامي بقصص أجنبية قليل، وقد قرأت لعدد منهم، قرأت لكامو، وهيجو، وستاندال وغيرهم، وتأثرت كثيراً بقصص دوموبلسان، وترجمت له رواية نشرت وهي (بيير وجان)، فكانت مدرسة لي في تصوير الشخصيات والتحليل الفني.

الأخلاق أولا والعلم أبداً

ميلاد أول مدرسة أصيلة ومتفتحة في القطاع الخاص

أجرى الاستطلاع: محمد يعقوبي

مع د. محمد باباعمي، مؤسس المدرسة العلمية الجديدة

الشروق اليومي: عدد 960: الأحد 28 ديسمبر 2003م - 04 ذو القعدة 1424هـ

❖❖❖❖❖❖❖

في الوقت الذي اكتسحت فيه المدارس الخاصَّة المستوردة الساحة التعليمية، وساهمت في تكريس البعدِ الطبقيِّ داخل المجتمع الجزائري، لا تزال المدرسة الأصيلة والمتفتِّحة تعوم في كمٍّ هائل من النظريات التربوية، فاقدةً النموذج الميداني الذي يقنع الناس بجدواها، ويشجعهم على رفض البدائل المصادمة لخصوصية المجتمع الجزائري، لقد اعترف وزير التربية أمام النواب، بمناسبة التصديق على المرسوم التنفيذي الذي يؤسِّس لنظام جديد يضبط المدارس الخاصَّة، اعترف بأنَّ العاصمة وحدها بها أكثر من 380 مدرسة خاصة، منها 100 ابتدائية، واعترف أنَّ الدولة وجدت نفسها أمام الأمر الواقع، فلا هي قادرة على مصادرة وإغلاق هذا الكمِّ الهائل من المؤسَّسات، ولا هي قادرة على تطويعها وضمان التزامها بالبرنامج الرسمي للدولة الجزائرية. وواقع الحال هنا يؤكِّد أنَّ نجاح دعاة الانسلاخ والتبعية والهيمنة في التأسيس لمدارس خاصة مستوردة، قد وافق هوًى ورغبة لدى العديد من المتنفذين في قطاع التربية وهياكل الدولة، فأرادوا تقنين هذه التجارب والبحث عن المبرِّرات التي تطيل في عمرها وتمدها بالمزيد من القوة والانتشار.

هذه القناعة ولَّدت لدى فريق من الباحثين الشباب إرادةً قوية في النهوض بنموذج متطوِّر لمدرسة خاصَّة، تعتمد أحدث الوسائل والأساليب التربوية، لكنَّها تقوم - على غير عادة مثيلاتها - على قيم ومنطلقات المدرسة الأصيلة والمتفتحة، ورغم انتساب أصحاب المشروع ومموليه ومنظريه إلى منطقة "بني ميزاب" واستفادتهم من تجارب المدارس الحرَّة في منطقتهم، إلا أن الدكاترة

وخرّيجي الجامعات الذين يؤطّرون هذا المولود الجديد، أصرُّوا على فتح أبواب المدرسة لكل أبناء الجزائريين دون استثناء. لقد عمل الفريق في تكتمٍ كبير منذ سنوات طويلة، إلى أن أتيح لنا الوقوف مؤخّرا عند الوضعية التي وصلت إليها المدرسة الواقعة وسط مدينة الحميز بالعاصمة..

المقر بطابقيه تحفة معمارية مطابقة لمقاييس التمدن في العالم، وأجهزة ووسائل المدرسة مفتوحة مباشرة على التلاميذ، وتنظيم محكم قائم على نظام المعلومات.. والأجمل من ذلك كله روح الأصالة والتميز التي ضمّنها المشرفون كل البرامج المدروسة..

اسمها المدرسة العلمية الجديدة، ومن شعاراتها: "إعداد تلميذ فعال في محيطه ومجتمعه يعيش عصره بكل تفاعلاته".

من أين جاءت الفكرة؟

المدرسة كما يعرِّفها المشرفون عليها وفي مقدمتهم الدكتور محمد باباعمي، هي ثمرة لدراسات وبحوثٍ متطوِّرة في مجالات التربية وعلم النفس والوسائل التكنولوجية، قام بها جزائريون مؤمنون بالبعد الأخلاقي في التربية والتعليم، فخضعت كل جزئية من جزئيات المدرسة إلى بحث مفصّل يراعي كلّ ظروف الزمان والمكان والحال، حتى الطاولات -يؤكّد المشرف الأول على المشروع- خضعت لدراسة علمية ونفسية، فتم اعتماد طاولات منفردة لكل تلميذ على حدة، تتلاءم مع جسمه وتسمح له بالتحرك في الاتجاه الذي يريد... وهو نفس المنطق الذي خضع له توزيع الألوان على الأبواب والجدران والساحات العامّة. الدوافع بدت واضحة لدى المشرفين على المدرسة، وترجع بالأساس إلى الانحراف الأخلاقي الذي بدأ يخرج عن السيطرة في المدارس العمومية وتركيزها بالدرجة الأولى على التعليم دون التربية، ثم غياب نموذج تربوي ناجح يكسب ثقة الأولياء، في تربية أبنائهم وفق الخصوصية الجزائرية، بعيدا عن المناهج المنحرفة، التي اكتسحت الساحة وفرضت منطقها المستورد على الجزائريين. الدكتور باباعمي يقول "إنَّ غاية المشروع أخلاقية بالدرجة الأولى، وهدفها التأسيس لنموذج مدرسة أصيلة تتماشى وروح العصر، وفق مخطط وتصور واضح" يحاول المدرسون وكلهم حاملو شهادات جامعية، تحويل المعلومة إلى معرفة، وتحويل المعرفة إلى سلوك ينعكس على شخصية الأجيال، ورغم قسوة بيئة الحميز ووقوعها وسط مستنقعات وبرك من الوحل، تحرص المدرسة حسب المشرف عليها على ترسيخ قيم النظافة والانسجام

والآداب العامة. ويصر الدكتور باباعمي على التأكيد بأنَّ مدرسته ليست خاصة "بالمفهوم الاقتصادي" ولا تقليدية "بالمفهوم القديم" ، بقدر ما تحاول التأسيس لفضاء جديد مفتوح على الجزائريين كلهم، فقيرهم وغنيِّهم، وقائم بالأساس على حماية شخصية التلميذ التربوية قبل تلقينه العلوم النافعة.

المدرسة .. تحدٍّ في مجال النوعية والتسيير

عدد التلاميذ الذين التحقوا بالمدرسة إلى الآن 140 تلميذا، موزَّعين على خمسة أقسام، بمعدَّل 17 تلميذا في كل حجرة، ويشرف على تدريسهم مختصُّون متخرِّجون في الجامعات الجزائرية في المواد المقرَّرة، وإلى الآن ينتظر المشرفون التحاق تلاميذ من جميع فئات وشرائح المجتمع؛ لأن كل الذين تجاوبوا لحد الآن مع المدرسة هم من محيط ومنطقة "ميزاب"، ويعتبر المشرف العام هذا الأمر جد طبيعي، فالثقة تبنى بشكل تدريجي ومن الصعوبة بمكان أن يسحب ولي ما ابنه من مدرسة نظامية ليدخله في مدرسة جديدة لا يعلم عن مستقبلها شيئا، ومن هذا المنطلق تقرَّر أن تكون البداية هذا العام فقط بالمرحلة الابتدائية لتتوسع في السنوات القادمة إلى المرحلتين الإكمالية والثانوية، وتعتمد المدرسة الدوام الكامل من الثامنة صباحا إلى الثانية بعد الزوال بحجم ساعي يقدر بـ 27 ساعة في الأسبوع بما يتوافق مع المعمول به في النظام الرسمي، ويؤكد الدكتور المشرف أنَّ العمل بنظام الدوام الكامل يرجع إلى توفر الحجرات الدراسية، عكس ما هو متوفر في المدارس العامة، التي وصل عدد التلاميذ في القسم الواحد وفي مدرسة مجاورة بالحميز إلى 55 تلميذا.

أجرة الأساتذة مرتفعة بالطبع عن أساتذة التعليم الرسمي، لكن الثابت فيها أنَّ الأجر هو قيمة مرتبطة بالجهد المبذول والمراقب على كل الأصعدة، وفق بطاقة STOP CARD التي تضبط سلوكات كل العاملين في المدرسة، هذا النظام يعتمد على عنصر المعلومة من أيِّ شخص كان، فكلُّ مَن لاحظ خروجا عن النظام أو تقصيرا في جانب معيَّن، أن يملأ البطاقة المذكورة التي تكون محل متابعة دقيقة من إدارة المدرسة، وبهذا فقط يتم ضبط كل أمور المدرسة التنظيمية حتى المستحقَّات المالية، وهنا يعود الدكتور باباعمي للتأكيد على أنَّ الفريق العامل يراهن على التحدِّي في مجال النوعية والتسيير، ومن ثمة تظهر قيمة التنظيم في إنجاح المشاريع على اختلاف مجالاتها.

مشكلة الشهادة.. محلولة

المدرسة حسب السيد باباعمي لا تزال في انتظار دفتر الشروط من وزارة التربية على غرار باقي المدارس الأخرى، ومِن أجل استكمال ملف الاعتماد كمدرسة خاصَّة ملتزمة بالشروط القانونية، ولأنَّ نشاطها لا بدَّ له من مبرِّر، فقد كان ضروريا تقديم ملف لمصالح الولاية للحصول على الاعتماد كجمعية، على غرار ما تشتغل به كل المدارس الحرَّة في منطقة غرداية، وتوجَد المدرسة في نفس الوضعية القانونية التي توجد عليها أكثر من 380 مدرسة خاصة أخرى بالعاصمة، كلها في انتظار استلام دفتر الشروط الذي يتمُّ من خلاله الاعتماد كمدارس خاصَّة معترف بشهاداتها. هذا التماطل من طرف وزارة التربية يطرح وبحدَّة مشكلا عويصا حول مصير التلاميذ بعد إكمال دراستهم في المرحلة الابتدائية، لكن المشرفين على المشروع - يؤكِّد مسؤولهم الأول- درَسُوا الوضع جيِّدا، ومستعدون لأسوء الاحتمالات، كأن ترفض الدولة الاعتراف بالمستوى الدراسي لخريجي مدرستهم ومن ثمة حرمانهم من الشهادة.

وفي هذه الحال يملك الفريق الساهر على المدرسة العلمية الجديدة ثلاثة حلول على الأقل، تحفظ لتلاميذهم حقهم في الشهادة الدراسية:

- أن يصدر دفتر الشروط وتحلَّ مشكلة الشهادة بالاعتراف؛ لأنَّه من غير المعقول أن لا يتحرَّك ملف المدارس الخاصة بعد تعديل قانونها.

- أن يُجري التلميذ امتحانا في أحد مراكز تعميم التعليم، وتمنح له الشهادة التي تتناسب مع مستواه، وهذا الحل مقرَّر بنص القانون الصادر سنة 76.

مدارس الأردن لديها استعداد للتعاون

الاحتياط الثالث الذي يضعه المشرفون على المدرسة إذا ما اعترضهم مشكل الشهادة، هو ثمرة زيارة قام بها وفدٌ من المدرسة مؤخَّرا إلى بعض المدارس الخاصَّة في الأردن، حيث وقف الفريق عند التطوُّر العملاق الذي تعرفه هذه الأخيرة، لدرجة أنَّ التعليم الرسمي في الأردن يستند إلى خبرة المدارس الخاصَّة، ويستفيد من إنتاجها وطرق تسييرها، طالما تعادل شهادته،

وربما تفوق مستوى الشهادات الرسمية. وفي الجولة التي قام بها وفد المدرسة العلمية الجديدة في بعض المدارس الأردنية وجد الفريق استعدادا كبيرا لديها للتعاون في عدة مجالات، وعلى رأسها مشكلة الشهادة، وفي هذه يؤكد الدكتور باباعمي أنَّ بعض هذه المدارس أبدى استعداده لامتحان تلاميذ مدرستنا ومنحهم شهادات توافق مستواهم ومعترف بها دوليا، وهي الخطوة التي شجَّعت المشرفين على المدرسة على المضيِّ في مشروعهم دون تردُّد، ودون انتظار صدور دفتر الشروط من لدن وزارة التربية. هذا الأسلوب ليس جديدا حسب المتحدِّث؛ لأنَّ المدارس الخاصَّة الحالية في الجزائر تعمل به بطريقة أو بأخرى، من خلال تعاونها مع مدارس خاصة فرنسية وأخرى تونسية، فيما يتعلق بالشهادة، ومن ثمة لا تبدو الشهادة عائقا أمام هذا المشروع، طالما درس المشرفون عليه احتمالات التعامل معها.

الإنجليزية أولاً والفرنسية رابعاً

التميُّز على مستوى البرنامج بدا واضحا من خلال التعديلات التي أدخلتها فرق البحث على المقرَّر العام الرسمي، وأوَّل ملاحظة تتبادر إلى الأذهان هي تعامل الجماعة مع السياسة اللغوية، إذ تم اعتماد اللغة الإنجليزية ابتداء من السنة الأولى وفق التجربة السعودية الناجحة، فيما تم الاحتفاظ بالفرنسية في السنة الرابعة، وفي تبريره لذلك يقول الدكتور باباعمي: "إنَّ البحوث التي استندنا إليها تثبت أنَّ الإنجليزية سهلة، وليس لديها قواعد معقَّدة كما الفرنسية، وتعتمد على المشافهة والمحادثة أكثر من اعتمادها على التقعيد، إضافة إلى أنها لغة عالمية تسيطر على أكثر من 80 بالمائة من المخزون المعلوماتي في الانترنت"، هذه القناعة وقفنا عندها عندما دخلنا قسم السنة الثانية فاستقبلنا تلاميذه بنشيد ترحيبي باللغة الإنجليزية دون أيِّ عقدة أو تلكؤ. المشكِل اللغوي في الجزائر يجزم الفريق أنه خرج عن إطاره، وصار مصبوغا بصبغة سياسية، وهو ما جعل العديد من الأولياء يشتكون من مستوى أبنائهم في المدارس الخاصَّة الأخرى، فهم لا يتحكَّمون سوى في اللغة الفرنسية وما دونها ليس له أي اعتبار، بما شكل عقدة وخلق صراعا لغويا ما كان ينبغي أن يكون، وقد انطلق الفريق في تعديل البرنامج من قاعدة أنَّ الزيادة في المنهاج لا تضر بقدر النقصان، فأبقوا على ما هو مفيد وطوروا ما هو قاصر، والجديد أيضا في موضوع اللغة أنَّ البرنامج يحتوي على يوم كامل للغة الأجنبية، وليس ساعتين في الأسبوع، كما التعليم الرسمي، فتباعد الساعات أثبت للباحثين - حسب محدثينا - أنه سبب من أسباب ضعف التلاميذ في

إجادة اللغات الأجنبية.

التميز الآخر يتعلق بعنصر الإبداع، فالأجهزة والوسائل العلمية في المدرسة وحتى المكتبة مفتوحة على التلاميذ، ويستعملونها بشكل مباشر، ولا توجد أي حواجز تمنع التلميذ من التعامل مع الانترنت أو الكتب إلا وفق الإرشادات التي يسهر عليها الأساتذة، ويحاول المدرِّس في أي مادَّة كانت استخراجَ المواهب وتنميتها ودفع التلميذ إلى تجاوز عتبة التلقين إلى الإبداع، وقد دلت على ذلك مجموعة الأشغال اليدوية والرسومات التي أبدعتها أنامل التلاميذ...

الساهرون على المدرسة تعمَّدوا تعليق جوائز تحفيزية في زوايا من المدرسة، كلها تدفع التلميذ إلى تحسُّس ذاته والمزيد من الإبداع، مادة التربية الرياضية وسعها الفريق إلى الرياضات ذات البعد النفسي المتعلق بالتركيز، على غرار بعض الرياضات القتالية، وجديد البرنامج يكمن أيضا في مادة المطالعة التي رصدت لها وحدة زمنية كاملة، هدفها ربط علاقة وطيدة بين التلميذ والكتاب منذ الصغر، ودفعه أيضا إلى مرحلة التأليف بالرسومات وبعض الإبداعات الأدبية، وهو بالضبط ما اطلعنا عليه وما سلم لنا من مؤلفات مطبوعة بمساهمة من التلاميذ، كبعض القصص والأدعية.

التدريس لكل المواد دون منازع، وقد خصَّها الفريق المشرف بأن فرض على أسرة المدرسة التعامل فقط بها وبالفصحى أساسًا، حرصا على ترسيخها كلغة ممارسة في الشارع والبيت قبل المدرسة.

نعم للمشارك.. لا للمتفرج

المتجول في أرجاء هذه المدرسة الجديدة يدرك النظام المحكم الذي تقوم عليه، ويلمس الحرص الشديد على عامل الوقت، وعلى المظهر الجماليِّ، وعلى العلاقة المنتظمة بين المدرسين والتلاميذ من خلال تبادل التحية الجماعية، فلا تدخل قسما إلا ويستقبلك تلاميذه بأطيب الكلم وألحن الأناشيد. وما يلفت الانتباه أنَّ نظام المعلومات أو ما يسمى بطاقة المعلومات، تجعل الجميع سواء أمام معايير الوقت والانضباط والعمل، إذ يحق لأبسط موظف أن يسجِّل ملاحظاته حتى ولو مسَّت أعلى مسؤولي المدرسة، وتشمل المعلومات كلَّ ما من شأنه أن يطور المشروع ويجنبه بعض الأخطاء الشائعة في النظام الرسمي.

إنها مدرسة جديدة وطموحة وتحمل كلَّ مؤهلات التفوق، ورغم كونها تبدو مغامَرة في خضم الواقع التربوي المنحرف، إلا أن قيامها

على سواعد وخبرات جزائرية مؤمنة بما تفعل، يجعل من نجاحها ممكنا بل ومفتاحا لنماذج أخرى تشكل بديلا حقيقيا عن المدارس الخاصة المستوردة، وأقصى ما يطلبه الفريق الساهر على المدرسة أن يثق فيهم الأولياء وكل أبناء الجزائريين، ولهم أن يطلعوا على كل تفاصيل المشروع قبل أن يسجلوا أبناءهم فيها، فالتمويل قائم على تبرعات المحسنين وحقوق الاشتراك لا تتجاوز 3000 دينار، وحتى التلاميذ المعوزين تم التكفل بهم ولم يدفعوا سنتيما واحدا، زيادة على تكفل المدرسة بكل ما يلزم التلميذ حين الدراسة من الأجهزة الثقيلة إلى المآزر وأدوات الدارسة.. وهو عكس الموجود في النظام الرسمي تماما.

هذا الشعور يريد أصحاب المشروع أن يتلمسه الأولياء، بعد أن يدركوا خطورة الوضع التربوي ووجوده بين فكي رحى: إما تعليم رسمي ضعيف ومتسيب، أو مدارس خاصة مستوردة مصادمة لخصوصية المجتمع، وتنشئ جيلا من التلاميذ ليس جزائريا وبين فكي هذه الكماشة كان واجبا أن نظهر بعض النماذج البديلة، تساير التطور وتحمي قيم وشخصية الأجيال القادمة، وبحسب الفريق العامل بالمدرسة العلمية الجديدة إنَّ مدرستهم هي مفتاح هذا الأمل بدأ يتحقق وليس له إلا أن ينجح.

البصائر تحاور العلماء

أجرى الحوار: الدكتور محمد بن موسى باباعمي

وشارك في إعداده الطالب عيسى عيسى، من البعثة العلمية

نشرت الحوارات تباعا، في جريدة البصائر: عدد 244 وما بعده؛

بتاريخ جمادى الأولى 1426هـ - جوان 2005م.

مع العلاّمة القرضاوي

"إنَّ هذا المؤتمر وفاء للرجال الذين سبَّلوا حياتهم، وبذلوا جهدهم لخدمة دينهم، ووطنهم، وامُتهم، وفي طليعة هؤلاء: الإمام محمد البشير الإبراهيمي".

❖❖❖❖❖❖❖

في حوار أجرته جريدة البصائر مع فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي، قبيل انطلاق الملتقى الدولي حول "العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي"، كان السؤال الأول كالآتي:

البصائر: ما هي انطباعاتكم، فضيلة الشيخ، حول هذا المؤتمر العلمي، الذي تنتظمه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي؟

الشيخ القرضاوي: إنَّ هذا المؤتمر وفاء للرجال الذين سبَّلوا حياتهم، وبذلوا جهدهم لخدمة دينهم، ووطنهم، وأمتّهم. وفي طليعة هؤلاء: الإمام محمد البشير الإبراهيمي، الذي عاش حياته مناضلا من أجل دينه، ومن أجل أمَّته، ولم يلقِ السلاح حتى لقي الله عز وجلّ، غير مبدِّل ولا مغيِّر.

ومن ناحية أخرى، يسمح هذا الملتقى بتعريف الأجيال الجديدة ببذل هؤلاء الأعلام، حتى يقتدي الأخلاف بالأسلاف، والأحفاد بما حققّه الأجداد، ويسيروا على سنَّة آبائهم، كما قال الشاعر:

إنَّا وإن كرمت أوائـــلنا ❖ لسنا على الأحساب نتَّكل

نبني كما كانت أوائلنا ❖ تبني، ونفعل مثلما فعلوا

لا بدَّ أن نبرز للأجيال الجديدة قيمهم وآثارهم، حتى تكون مجالا للأسوة والقدوة.

البصائر: شيخنا الكريم، هل من رسالة ونصيحة تبلِّغها من خلال جريدة البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين، للشباب الجزائري، بهذا المناسبة السعيدة؟

الشيخ القرضاوي: كلمتي الأخيرة لشباب الجزائر، أن يتخذوا من العلاّمة البشير الإبراهيمي، ومن رفيقه في الدرب الإمام ابن باديس، ومن بقية أعلام جمعية العلماء، أمثال: العربي التبسي، والطيب العقبي.. وجميع أولئك الذين كانوا ورثة الأنبياء حقا، وأولئك الذين حملوا لواء الدعوة، وحمّلوا المسؤولية والرسالة فتحمّلوها بجدارة واجتهاد، أن يتخذوا منهم نبراسا، وبمثل هؤلاء ينبغي أن يكون الاقتداء، ويكون التشبه:

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبُّه بالرجال فلاح

البصائر: شكراً فضيلة الشيخ، وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى، ومرحبا بكم في بلدكم الثاني: الجزائر.

.....

مع الإمام البوطي

"أنا أرجو أن يكون هذا الملتقى براءة استهلال لعهد جديد، يتلاقى فيه الحاضر والماضي، وتذوب الحواجز التي فصلت حاضر الأمّة عن ماضيها العريق، وأعتقد أنّ هذا الملتقى سيكون منطلقا لذلك إن شاء الله تعالى"

❖❖❖❖❖❖❖

فضيلة الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، سلاما وتحية حارة، وإنّ جريدة البصائر لتتشرف بإجراء هذا الحوار القصير مع سماحتكم، قبيل افتتاح الملتقى الدولي الأول، إحياء لذكرى وفاة العلامة محمد البشير الإبراهيمي.

البصائر: ما رأيكم في إقامة هذا الملتقى، في هذه الظروف بالذات؟

الشيخ البوطي: هذا الملتقى الذي يُقام إحياء لذكرى الشيخ البشير الإبراهيمي، مظهرٌ من مظاهر الوفاء لهذا الإمام الجليل، وإن كنت أتوقّع أن لا يكون الأوّل، لكن الظروف التي مرّت بها الجزائر أرجأته وأجّلته إلى هذا

التاريخ، وأنا أرجو أن يكون هذا الملتقى براءة استهلال لعهد جديد، يتلاقى فيه الحاضر بالماضي، وتذوب الحواجز التي فصلت حاضر الأمَّة عن ماضيها العريق، وأعتقد أنَّ هذا الملتقى سيكون منطلقا لذلك إن شاء الله تعالى.

البصائر: شيخنا الكريم، هل من كلمة لأبنائكم من شباب الجزائر، ولجميع شباب المسلمين في هذا العصر العصيب؟

الشيخ البوطي: أنا أردِّد ما أقوله دائما، وقلته قبل اليوم للجزائر ولغير الجزائر: نحن نحارَب اليوم بسلاح التفريق، ولن يتأتَّى للعدوِّ أن يسيطر على المسلمين إلاَّ بهذا السلاح، فأرجو أن يتمتع الشباب الإسلامي في البلاد العربية كلها، وفي الجزائر بالخصوص، بالوعي الذي يجعلهم يحطمون هذا السلاح.

الشيخ عبد الرحمن شيبان

يعبر عن شعوره قبيل الملتقى

"والعلماء في الطبيعة هم الهداة، وهم ورثة الأنبياء، فكلَّما تعرَّفنا عليهم، ودرسنا آثارهم، إلاَّ وازددنا معرفة بربِّنا، ومعرفة بواجباتنا نحو أنفسنا"

❖❖❖❖❖❖❖

البصائر: شيخنا الكريم، الشيخ عبد الرحمن شيبان، ما تعليقكم وأنتم تستقبلون هذا الملتقى الدولي الكبير، قبيل ساعات من انطلاقه:

الشيخ عبد الرحمن شيبان: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعدُ، الأمَّة بأعلامِها، فهي النجوم التي تضيء للناس الطريق السويَّ، لتحقيق سعادتهم في هذه الأرض، وفي الدنيا والآخرة... والعلماء في الطبيعة هم الهُداة، وهم ورثة الأنبياء، فكلَّما تعرَّفنا عليهم، ودرسنا آثارهم، إلاَّ وازددنا معرفة بربِّنا، ومعرفة بواجباتنا نحو أنفسنا، ونحو أسرنا، ونحو الشعب قاطبة، ونحو الإنسانية عامَّة، فما هذه المؤتمرات التي تقام إلاَّ وسيلة للاستفادة من هؤلاء الأعلام، ونرجو من الله

تعالى أن نكون على خطى الصادقين من عباده

مع الشيخ عبد الله جاب الله

"للأسف: الذي حصل قد حصل، وهؤلاء المتمكِّنون ماضون في تنفيذ خططهم، لأنهم لم يجدوا وقفة قوية ومتماسكة ومتواصلة، ونسأل الله أن يخيِّب مسعاهم"

❖❖❖❖❖❖❖

البصائر: أستاذنا الشيخ عبد الله جاب الله، ما رأيكم في الخطوة التي تقدِم عليها جمعية العلماء اليوم، بإقامتها لمثل هذا الملتقى؟

الشيخ جاب الله: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا الملتقى جاء متأخِّراً في نظري، فالشيخ البشير الإبراهيمي يستحقُّ الاحتفال به كلَّ يوم، ففضله بعد فضل الله تعالى، في تحريض الشعب الجزائري على الثورة، معلومٌ ومذكور، وفضله أيضا في التعريف بالثورة وبالقضية الوطنية في الخارج، لا يخفى على أحد.. وإنا لنسأل الله تعالى أن يكتب لفكره وعلمه الانتشار بين أوساط الشباب، فيحسنوا الاستفادة منه.

البصائر: ما تعليقكم حول إلغاء شعبة العلوم الإسلامية، وتزامن ذلك مع إحياء مَن خدم القضية الإسلامية في الجزائر؟

الشيخ جاب الله: هذه الخطوة ليست هي الخطوة الأولى، وليست هي الخطوة الأخيرة، بل هي خطوة ضمن الخطوات لتحضير الجزائر- كما قالوا- للدخول في حضيرة العولمة، ومن ثمَّ فهي خطوة خادمة لمشروع العولمة؛ لأنَّ العولمة تعني: تكريس المنظور الحضاري للغرب، بما يخدم ويحفظ مصالح القوى الدولية الكبرى، ولها عدَّة مظاهر، منها: المظهر الأيديولوجي، للتمكين للفهم الكنسي الدين، وللتمكين لأفكار العلمانية، وهذا يتم-على حدِّ قولهم- عن طريق مراجعة منظومات بناء شخصية الإنسان، وصناعة الرأي

العام، وفي طليعتها: المنظومة التربوية، وكان منها -كما هو معلوم- حذف شعبة العلوم الإسلامية، ونزعُ معامل التربية الإسلامية، وإسقاطها من امتحان البكالوريا، حتى تُقبر.

إذن، هذا إجراء خادمٌ لمشروع العولمة، وقد بُدئ به في الجزائر منذ سنوات، والأصل أن يتجنَّد الكل للتصدِّي لهذا المشروع، وهذا ما دعونا إليه منذ تشكيل لجنة "ابن زاغو" ... لكن للإسف: الذي حصل قد حصل، وهؤلاء المتمكِّنون ماضون في تنفيذ خططهم؛ لأنَّهم لم يجدوا وقفة قوية ومتماسكة ومتواصلة، ونسأل الله أن يخيِّب مسعاهم.

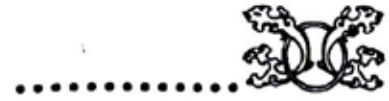

مع عدد من المشايخ والعلماء

"الأمّة الجزائرية أمَّة مسلمة قبل كلِّ شيء، ورجاؤنا أن يكون هذا الملتقى سببا لإعادة المياه إلى مجاريها"

❖❖❖❖❖❖❖

ذات السؤال عن الملتقى، لعدد من المشايخ والأعلام، نقتطف من جوابهم ما يلي:

البصائر: ما رأيكم في إقامة هذا الملتقى للإمام الإبراهيمي؟

الشيخ شريفي بالحاج: نحمد الله تعالى على أن وفَّق الإخوان في جمعية العلماء لإقامة هذا الملتقى المبارك، للشيخ العلامة الإبراهيمي، الذي كان بالنسبة إلينا نحن الشباب في ذلك الوقت، قدوةً بارزة في إنشاء جمعية العلماء، وبخاصَّة إنشاء الجمعيات الإصلاحية والمدارس.

الشيخ أبو عبد السلام: الشيخ البشير الإبراهيمي جديرٌ بأن يدرس

فكره، وتدرس مواقفه، وينظَّم له أكثر من ملتقى، ونسأل الله تكون أن تكون هذه بداية، وأن تكون فاتحة خير للتوسع أكثر في الاهتمام برجالات العلم في الجزائر، وبخاصة رجال جمعية العلماء المسلمين.

الدكتور يوسف بلمهدي: نشكركم في إتاحتنا الفرصة في هذا الفضاء الإعلامي المميَّز، والمختص في خدمة الوطن والإسلام والعروبة، وهذا شعار البصائر، وشعار من نلتقي وتلتقي بسببه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين... الملتقى فضاء علميٌّ ثقافيٌّ روحيٌّ يجدِّد فيه الإنسان المعارف، ويشحذ فيه الهمم... وهو كذلك فضاء روحانيٌّ، تسبح فيه النفس البشرية في عالم جميل، عالمٍ طاهر؛ لأنَّه بذكر أهل العلم تتنزَّل الرحمات.

الشيخ شريفي بالحاج: الأمَّة الجزائرية أمَّة مسلمة قبل كلِّ شيء، ورجاؤنا أن يكون هذا الملتقى سببا لإعادة المياه إلى مجاريها.

الشيخ مأمون القاسمي: موقفُنا هو ذات موقف جمعية العلماء، ممثلة في شخص رئيسها الشيخ عبد الرحمن شيبان.. فنريد أن يكون النقاش في هذا الموضوع، مثله في ذلك مثل القضايا الأخرى، في موقعه المناسب، بعيداً عن كلِّ المزايدات، وبعيدا عن كلِّ الأجواء التي قد تكون ملوَّثة بالأهواء... نحن نريد أن يكون النقاش من أهله أهل العلم والاختصاص، وفي مجاله المناسب، وموقعه المناسب، ونسأل الله التوفيق.

الشيخ أبو عبد السلام: الدين بالنسبة للجزائريين هو الحياة، فلا حياة للجزائر بلا إسلام، هذا هو المبدأ الذي ننطلق منه للتعريف بمكانة الدين الجزائري، فهو بمثابة البلسم، وهو بمثابة الروح للجسد، يعني لا يمكن للجسد أن تكون له حياة وأن تكون له حركة من غير روح... فلا يمكن للجزائريِّ أن يجد نفسه في غنى عن الإسلام.

الشيخ محمد مختار اسكندر: هذا الموقف تجنٌّ على الشريعة الإسلامية، التي هي روح الشعب الجزائري، وإحدى مقوِّمات شخصيته.. فيلزم أن تكون المواقف صارمة من جميع الهيئات، ومن جميع الشخصيات، للمحافظة على الروح الإسلامية، التي ناضل من أجلها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي.

التعريف بكتاب "أصول البرمجة الزمنية" للمرة الثانية في جريدة بريطانية

جريدة الحياة اللندنية: 6 جويلية 2007م. ونشر في موقع فيبكوس يوم 08 نوفمبر 2007م.

نبيل محمود السهلي، كاتب فلسطيني مقيم في دمشق

❖❖❖❖❖❖

يحاول الكاتب الدكتور محمد بن موسى باباعمي في كتابه "أصول البرمجة الزمنية في الفكر الاسلامي"، الصادر عن دار صفحات في دمشق عام 2007، توضيح فكرة البرمجة الزمنية، ويرى أنها تمثل نقطة الالتقاء بين عناصر الحضارة الثلاثة: الدين أو القيم، والزمن، والإنسان؛ بحيث تعطي الشكل والحركية لمعادلة الحضارة، بعيداً من تعقيدات التعريف، ومن الاختلاف في العناصر والمسمَّيات.

ويؤكِّد بأنَّ الحضارة تتحول إلى مدنية في حال استبدال الدين والقيم بأفكار وطروحات فلسفية، وتتغيَّر معادلة الحضارة لتصبح مجموعة من الأفكار إضافة إلى الزمن والإنسان، ويذهب البعض إلى تعريف عناصر الحضارة بثلاثية جديدة هي: الإنسان، والكون، والحياة، من خلال التحليل القرآني. وفي هذا السياق عرّف الشيخ البوطي الحضارة بأنها "ثمرة التفاعل بين العناصر المذكورة".

ينطلق الباحث ليثبت في فصول الكتاب المختلفة بأن للبرمجة الزمنية أصولاً وجذوراً دينية وثقافية وحضارية، وليست مجرَّد عادات شكلية أو تصرُّفات ظاهرية، وعمِل جاهداً في التنقيب عن تلك الأصول وإبرازها من خلال الفكر الإسلامي، مقارناً إياها بما توصل إليه الفكر الغربي في هذا المجال.

وقد اعتمد على النصوص الثابتة من قرآن وسنة، وبالحقائق العلمية، فضلاً عن استعانته بالمفاهيم التراثية لهذه النصوص، وبالتفسيرات المختلفة لتلك الحقائق، وأرجع الحكم الفصل في النهاية إلى نص واحد هو: القرآن الكريم "قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي".

وقد أوضح الكاتب مسلَّمات عدَّة في سياق عرضه قيام الحضارة الإنسانية ومن تلك المسلَّمات:

أولاً: أنَّ النظام سمة جميع المخلوقات، وهو مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية.

ثانياً: سنن الكون تجري على جميع الخلائق، من دون استثناء، ومنها السنن المرتبطة بالزمن.

ثالثاً: الزمن عبارة عن وعاء للعمل الصالح والطالح في آن معاً.

رابعاً: الله رحيم بعباده، لا يحمِّلهم مالا يطيقون.

خامساً: مما يحاسب عليه الإنسان يوم القيامة نعمة الزمن.

وفي تحليله عناصر الحضارة وتداخلها، يرى الباحث أنَّ الإنسانَ في كلِّ حضارة يقرِّر أن آماله أكثر من أعماله، وأنَّه لا يُنجز في حياته القصيرة إلاَّ قدراً يسيراً مما يأمله ويرجوه، فضلاً عن ذلك توجدُ مجتمعات وأمم أكثر استثماراً للزمن من غيرها، وهي التي تمكَّنت من تأسيس حضارات كبرى في التاريخ، وتبعاً لذلك فإنَّ التفوق في كلِّ الميادين وعلى جميع المستويات، مرهونٌ باستغلال الوقت، ومرتبط به ارتباط الأسباب بالمسببات، والمقدمات بالنتائج.

وتختلف المفاهيم المرتبطة بالزمن بين ثقافة وأخرى، وبين فرد وآخر، وبين مجتمع وآخر، ومن هذه المفاهيم: العبادة والعمل. وهذه المفاهيم تتأثر - سلباً أو إيجاباً - تأثراً مباشراً بثقافة الغالب على حساب المغلوب.

ويرى الباحث بأنَّ تلك المفاهيم غامضة وغير مؤصَّلة؛ بل متضاربة ومتناقضة في البلاد الإسلامية المعاصرة وهي في مرحلة ضعفها.

كما يؤكِّد الباحث على نقطة رئيسة مفادها "عدمُ وجود اهتمام كبير بالبرمجة الزمنية في الجامعات العربية والاسلامية على حدٍّ سواء" الأمرُ الذي يوهم بأنَّ مفهومي الزمن والبرمجة غير متأصلين في الفكر الإسلامي؛ في مقابل ذلك قام الغرب بتطوير علومه في شكل كمِّي ونوعيٍّ، وتم ابتكار مناهج وتقنيات متطورة تعنى بصورة رئيسة بالبرمجة الزمنية .

لكنَّ الباحث يشير في الوقت نفسه إلى أن المتابع للدراسات المنشورة في الغرب، أو في الشرق حول الزمن، لا تضع في الحسبان العبادات اليومية، ولا تبحث عن العلاقة بينها وبين البرمجة الزمنية، بل وتلغيها غالباً من قائمة الأعمال المبرمجة؛ إلاَّ ما شذ منها؛ وهو نادر جداً.

ويُثبت الباحث أنَّه بمقدور العلوم الإسلامية أن تكون سنداً وقاعدة للبرمجة الزمنية، غير أنه تم اختزال العلوم إلى إطارها النظري فقط، وتم استبعاد جانب كبير منها عن الحياة اليومية للمسلم لظروف تاريخية وفكرية معينة.

لقد قام الباحث بمحاولات جادَّة لصوغ تعاريف محدَّدة للمصطلحات الأساسية لبحثه، فقام بتعريف الزمن، والبرمجة، والأصول، وفرَّق بين البرمجة الزمنية التي لها خصوصية كليَّة، خلافا لعلوم لها خصوصية جزئية مثل علم إدارة الوقت، وعلم الساعة البيولوجية، واعتمد في ذلك على مراجع عربية مختلفة وعلى دراسات جامعية، ووصل إلى نتائج مهمة في المقدمة منها:

1 - استطاع القيام بمقارنة جادَّة بين الفكر الغربي الذي يستند إلى الأزمنة المهيمِنة، والفكر الإسلامي الذي ينبني على زمن أسماه "الزمن الصَّبغة"

2 - قام بتبسيط الغايات والأهداف في الفكرَين الغربي والإسلامي؛ حيث تمثل الغايات عمق المعتقد، في حين تهتم الأهداف بالتقنية.

3 - استطاع الباحث تحليل الأولويات باعتبارها من أبرز الأصول التقنية في البرمجة الزمنية، فاهتدى إلى مقترحات من خلال فقه الأولويات، والعقيدة، وأصول الفقه.

4 - لقد وضع الباحث شواهد كثيرة ومتشعِّبة من المصدرين الأساسيين للفكر الإسلامي: القرآن الكريم، والسنَّة النبوية الشريفة.

وتبقى الإشارة إلى أنَّ الباحث استطاع أن يأتي بجديد في ساحة المعرفة الحضارية الآخذة في التطوُّر، والأهمُّ من ذلك أنَّه لم يخرج في فصول بحثه المختلفة عن تتبع الأدلَّة والمصادر الشرعية بدقة وأمانة متناهية، فالبحث جدير بالقراءة والاقتناء.

قراءة في كتاب:

أصول البرمجة الزمنية في الفكر الإسلامي

جريدة القدس العربي مارس 2007. ونشر في جريدة أخبار ليبيا، 22 فبراير 2007م.
ونشر في نشرية النامي، 31 مارس 2007... وفي غيرها من المواقع والمجلات.

د. محمود محمد الناكوع، كاتب وباحث ليبي، مقيم بابريطانيا

❖❖❖❖❖

إذا كان الكتاب يُقرأ من عنوانه، فإنَّ عنوان كتاب الدكتور محمد بن موسي باباعمي (أصول البرمجة الزمنية في الفكر الإسلامي) يعبِّر تعبيرا واضحا عن مضمون الكتاب، وهو أطروحة الدكتوراه التي تميَّزت بالجديد المفيد، فالموضوع من أهم المباحث ذات الصلة بحياة الإنسان، وهي حياة متغيرة، بل سريعة التغير، تارة بصورة إيجابية، وتارة أخرى بصورة سلبية.

والزمن عنصر أساسي في تنظيم تلك الحياة ومتغيراتها؛ فمن تمكَّن من توظيف وقته توظيفا صحيحا، وبرمجته برمجة سليمة، سيحقق نتائج صحيحة، ومن تجاهل، أو جهل، أو تغافل عن قيمة الوقت وبرمجته فقدْ خسر الكثير؛ إذن نحن أمام بحث في غاية الأهمية.

وقد ظلَّت شعوب العالم الإسلامي، بل وجامعاته، ومراكز بحوثه، لا تهتمُّ كثيرا بمسألة البرمجة وما تنطوي عليه من أبعاد ايجابية. وقرأنا الكثير عن فشل مشروعات اقتصادية، وتعليمية، وسياسية وغيرها، بسبب غياب البرمجة الصحيحة، وأهمُّ عناصرها الزمن، فجاء هذا الباحث الجزائري ليضيف مادة أكاديمية مهمَّة؛ لأنَّ المجتمعات الإسلامية في حاجة إلى مَن يدفعها نحو سبل النهوض والتقدم في جميع الميادين، ولا شك أنَّ البرمجة بطرقها الحديثة التي وضعها الغرب وطوَّرها، تُعتبر أحد أسباب النجاح والتقدم.

وأثناء قراءتي للكتاب ظل يذكِّرني بعبقرية وكتابات المرحوم الأستاذ مالك بن نبي، المفكِّر الجزائري الذي أعطي للوقت في كتبه ومحاضراته مذاقا ثقافيا فريدا، وخاصة في كتابه "شروط النهضة"،

وفيه يقول: "إنَّ العملة الذهبية يمكن أن تضيع، وأن يجدها المرء بعد ضياعها، لكن لا تستطيع أيُّ قوَّة في العالم أن تحطم دقيقة، ولا أن تستعيدها إذا مضت..... نحن في العالم الإسلامي نعرف شيئا يسمَّى الوقت، ولكنه الوقت الذي ينتهي إلى عدم؛ لأننا لا ندرك معناه، ولا تجزئته الفنية؛ لأننا لا ندرك قيمة أجزائه من ساعة ودقيقة وثانية، مع أنَّ فلكيا عربيا مسلما هو أبو الحسن المراكشي يعتبر أوَّل من أدرك هذه الفكرة الوثيقة الصلة بنهضة العلم المادي في عصرنا" (ص140).

الدكتور محمد بن موسى، وهو من أبناء الجزائر أيضا، يقول وبعد اشتغال يربو على عقد كامل بالدراسات الزمنية، وإنجاز رسالة الماجستير حول "مفهوم الزمن في القرآن الكريم": "نصوغ أطروحة محاولين إثباتها في هذا ا لبحث، وهي أنَّ للبرمجة الزمنية أصولا وجذورا دينية، وثقافية، وحضارية، وليست مجرَّد عادات شكلية، أو تصرفات ظاهرية، وعملُنا في هذا البحث يتمثل في التنقيب عن تلك الأصول وإبرازها".

وحتى يجعل من بحثه أكثر جاذبية وفائدة وضعه في إطار الدراسات المقارنة بين ما قدَّمه الفكر الغربي في مجال البرمجة، وبين ما ينطوي عليه الفكر الإسلامي نظريا من قواعد عامة لأصول البرمجة الزمنية.

ومن الطريف أنَّ كلمة برنامج قديمة الاستعمال عند الفقهاء، وحسب مادَّة البحث إن الإمام مالك قد استخدم في المدونة الكبرى كلمة البرنامج، وعنون لبحث في ذلك الكتاب بجملة "باب في بيع البرنامج". والبرنامج هو النسخة التي يكتب فيها المحدث أسماء رواته وأسانيد كتبه. (ص 18) كما استخدم فقهاء آخرون الكلمة ذاتها في إطار بحوثهم وحاجاتهم

وأصبحت البرمجة حديثا تعني ترتيبا محدَّدا سلفا للأعمال أو الأحداث المزمع إجراؤها للوصول إلى نتيجة معيَّنة. وقد أدرك الغربيون منذ أكثر من قرن أهمية و قيمة البرمجة في بحوث عدَّة، بينما بدأ الاهتمام في الجامعات العربية والإسلامية بهذا النوع من البحوث مع أواخر القرن العشرين (ص 80).

ومن أهمِّ فصول الكتاب ومادته ربطُ البرمجة بالأهداف، وحسب رأي أحد الباحثين الغربيين "إنَّ إدارة الوقت من أجل أهداف مجدية يشكِّل الفرق مابين النجاح والفشل، والربح والخسارة، والرضا وعدم الرضا" (ص179)

ويكشف الباحث من خلال عيِّنات من الأهداف في الفكر الغربي أنها في العموم ترمي إلى تحقيق: المتعة والهروب من الألم، وتركِّز على امتلاك

السلع الأساسية، الغذاء، النظافة، الراحة، الصحة، المعرفة، التمتع بأوقات الفراغ .. (ص 182). أي أنَّ الهدف الأكبر في هذه الحياة طبقا للفلسفة الغربية في العموم هو تحقيق أكبر قدر من المتعة. يقول مارسيل بروست: "إنَّ عليك أن تعيش في هذه الساعات الأربع والعشرين لوقتك اليومي، من بينها عليك أن تغزل الصحة والسرور والمال" (ص 183).

هذا لا يعني أنَّ الفكر الغربي يتجاهل القيم الإنسانية، أو يتجاهل عالم الموت وعالم الغيب، أو يتجاهل الدين وقيم الأسرة كلية، فعند بعضهم إنَّ غاية الحياة أن يعيش الإنسان، ويحبَّ، ويتعلم، ويترك وراءه الأثر الطيب.يقول برنارد شو: "إنَّ السعادة أن تقضي حياتك من أجل هدف تعتقد أنَّه مقدس .. أنا شخصيا أرى أنَّ حياتي ملك لكل المجتمع، ولذلك عليَّ أن أقدِّم لهذا المجتمع كل ما أستطيعه ما حييت، إنني أريد أن أقدِّم ما يمكنني حتى آخر نفس، عندما يحين وقت وفاتي، فكلما شقيت في العمل، عشت أكثر" (ص 191 /192)

وبيَّنت دراسات غربية أنَّ المعتقدات التي تعطي للحياة معنى وغاية كانت غائبة في كثير من الحالات ... ففي استبيان أجراه أحد الباحثين اتضح أنَّ نحو ستة وثلاثين في المائة لا يفكِّرون في الموت . وفي استبيان آخر حول "الإيمان بالله" أجري عام 1968 تبيَّن أن معدَّلات الإيمان بالله في تناقص مستمر في البلدان الأوروبية.

وتنتهي الدراسات ذات العلاقة بالأهداف والغايات أن الغربي حينما يجلس لكتابة برنامجه الزمني لا يفكِّر كثيرا في الغيب، وهم لا يعرفون بوضوح الفرق بين قيم الوسيلة وقيم الغاية ... وذهبت الحداثة والديمقراطية في حالات كثيرة إلى صراع حادٍّ مع الدين ومع الله، واتسعت دائرة الثقافة المشككة في وجود اله خالق للكون (ص 197 /198).

ولقد تفطَّن المفكر روجيه غارودي إلى العلاقة المتينة بين الاعتقاد الصحيح في الإله وبين وجهة الحياة فألَّف كتابا بعنوان: "هل نحن في حاجة الي إله؟". ليقرِّر أخيرا، أنَّ القول بوجود إله يعني القول بأنَّ الحياة لها وجهة ومعنى. وترجمتُها في هذا الفصل هي: القول بوجود إله يعني القول بوجود غاية للحياة ... والإيمان بهذه الغاية يعني اعتبارها في بناء أيِّ برنامج أو مخطط زمني للمستقبل القريب أو البعيد.

فأمام غياب دور الإله في تحديد الغاية تنامى القلقُ لدي الإنسان الغربي، كنتيجة وكسبب، فنمت شبيبة بلا ثوابت ليؤسِّسوا حياتهم وينظموها على

محور الجنس، أو الرياضة التي تحولت إلى أفيون مخدِّر للشعوب، وإلى ديانة جديدة آلهتها أبرز لاعبي كرة القدم في العالم (ص 199) . ...

هذه الآراء التي دوَّنها الباحث في أطروحته صدرت عن كتَّاب من الغرب، لهم كتب تعالج هذه الموضوعات، وتنتقد خطر العداء المستحكم بين الفكر الغربي في عمومه وبين الله.

الفرق بين الهدف والغاية:

أمَّا في الفكر الإسلامي فإنَّ الباحث يواجه بعض الصعوبات في تحديد الفرق بين الهدف والغاية، ولم تنجز أية دراسة معمَّقة تحدِّد العلاقة بين البرمجة الزمنية والأهداف والغايات، ففي حالات كثيرة كلَّما ذُكر الهدف انصرف المعني إلى الغاية. ولكن في كل الحالات يؤكد الفكر الإسلامي على أنَّ لحياة الإنسان غاية يجب أن يبرمج وقته على أساسها، فهناك ضروريات وحاجيات حياتية تتطلب الكدح والعمل من أجل تحقيقها، وفي الوقت ذاته هناك واجبات دينية تعبدية روحية يجب مراعاتها أثناء البرمجة الزمنية، فالمسلم مطالب بالصلاة في أوقاتها، ومطالب بالاهتمام بالأسرة، ومطالب بالتكافل الاجتماعي لا بالعزلة والحياة الفردية الأنانية...

يمتاز الفكر الإسلامي على خلاف الفكر الغربي بقوَّة في موضوع الغايات، فالذي وضع الغايات للإنسان هو الله خالق الإنسان، وليس الإنسان نفسه. وبذلك تصبح الغاية هي المقصد النهائي للمسلم في حياته، فكل أهدافه وأغراضه وآماله وأعماله ومشاعره تتَّجه نحو تحقيق الغاية، وهي مرضاة الله سبحانه وتعالى، ونيل الثواب في الدار الآخرة (ص 231 ، 232).

ولاحظ الباحث عند رصد النتائج أنَّ الفكر الغربي استطاع أن يبرز أهمية تحديد الأهداف في البرمجة الزمنية، وكثُرت الدراسات التي تعنى بها، وتحوَّلت تلك الدراسات المتعلقة بالبرمجة إلى فنٍّ يدرس، وإلى طرق للتدريب، وأنزلت تلك الأهداف إلى الحياة اليومية للإنسان الغربي. أما في الفكر الإسلامي فلم يُعتن بالأهداف كمنحًى فكريٍّ في البرمجة الزمنية، وكثيرا ما خلط الدارسون بينها وبين الغايات، كذلك ابتعدت الأهداف في الفكر الإسلامي عن التوجه العملي التدريبي التربوي، فبقيت مجرَّد كتابات عامَّة، وتخمينات في بعض الأحيان ...

والخلاصة أنَّ قوَّة الفكر الغربي في البرمجة الزمنية تكمن في الأهداف،

وضعفه يبرز في الغايات، أمَّا الفكر الإسلامي فقوَّته في الغايات، أمَّا ضعفه فيتمثَّل في الأهداف (ص 239، 240).

ونظرا لكثرة المهام والأعمال في حياة الإنسان الغربي، فقد اكتشف طريقة عملية للتعامل مع تلك المشكلة، فصوَّب فكره نحو فنِّ ترتيب الأولويات، ومارسه من خلال البرمجة الزمنية، وأصبح علم الإدارة يعطي أهمية خاصَّة لمعرفة الأولويات، ومنها ترتيب الأمور حسب أهميتها، وعندها يتعين وضع قائمة بالأعمال المطلوب إنجازها حسب مدَّة زمنية محدَّدة، يومية أو أسبوعية أو شهرية أو سنوية... وهكذا.

وأكَّدت الدراسات والممارسة العملية أنَّ معرفة الأولويات أكثر أهمية من الأهداف المجرَّدة، فمِن السهل تحديد الأهداف العامة، أو الاتفاق عليها، ولكن من الصعب صياغة هذه الأهداف حسب أولوياتها، والعمل وفق هذه الأولويات . وتزداد الصعوبة في تحديد تلك الأولويات كلَّما تعقدت الحياة، وعاش الإنسان على غير نظام، بل الإنسان كثيرا ما تشدُّه الملذات والمتع وتصبح هي من أولوياته، وإن كانت على حساب أهداف أو غايات أهمَّ من اللذات .

وفي الغرب هناك من يجد متعته في العمل حتى يصبح مدمنا، ولا يحس بخطورة ذلك حتى يسقُط بنوبة قلبية أثناء العمل.

فقه الأولويات:

وفي إطار الفكر الإسلامي بدأ أخيرا الاهتمام بما سمي (فقه الأولويات)، ومن بين من كتب في الموضوع د يوسف القرضاوي، حسبما أورد صاحب البحث. وللقرضاوي كتاب عن "الوقت في حياة المسلم"، وفيه دعوة إلى الإنسان المسلم بأن "ينظِّم وقته بين الواجبات والأعمال المختلفة، دينية كانت أم دنيوية، حتى لا يطغي بعضها علي بعض، ولا يطغى غيرُ المهم على المهم، ولا المهمُّ على الأهمِّ، ولا الموقوت على غير الموقوت. فما كان مطلوبا بصفة عاجلة يجب أن يبادَر به، ويؤخَّر ما ليس له صفة العجلة، وما كان له وقتٌ محدَّد يجب أن يعمل في وقته".

وللقرضاوي أيضا كتاب بعنوان "في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة"، وفيه إشارات إلى التأصيل الفكري الإسلامي في الأولويات، نقرأ أسطرا في (ص 297) ترتب الأولويات على النحو التالي :

1- البدء بالأهمِّ فالمهم.

2- البدء بالأصول الأساسية في حقول وميادين العلم الشرعي.

3- تقديم الواجبات على السنن والنوافل .

4- الانطلاق من الأصلين الأساسيين القرآن والسنة.

فعن الوقت، وكيف يستعمله الإنسان المسلم يقول الحديث النبوي: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه" من هذا المنطلق العقدي والفكري والمنهجي، تأتي ضرورة البحث عمَّا يشغل الأيام من أعمال، وماذا يبرمج في كل آن من آنائها .

وعبر قراءة متأمِّلة للقرآن والسنة النبوية يجد الدارس إشارات ودلالات واضحة على أهمية الزمن، وما يجب على المسلم أن يفعله لكي يدير وقته بطرق وأساليب مفيدة.

وفي الوقت الذي صاغ فيه الفكر الغربي جملة من الطرق للتعامل اليومي مع الأولويات، فإنَّ الفكر الإسلامي المعاصر عجز عن التدريب والتبسيط للبرمجة الزمنية عموما (ص 313). فالصلاة اليومية تعتبر في حدِّ ذاتها برمجة عملية لبعض أوقات المسلم الملتزم بالصلاة، إلاَّ أنَّ ذلك لا يكفي لاستثمار الزمن استثمارا متكاملا يتم الجمع فيه بين العبادات والأعمال الحياتية الأخرى.

يورد الباحث حشدا من الآيات والأحاديث التي تتحدث عن أهمِّ الأعمال في حياة المسلم، وتتحدَّث عن ترتيب الأهمِّ والمهمِّ، وجميعها ظلَّت في العموميات، وظلَّت في إطار الاجتهاد الشخصي، ولم تتحوَّل في الفكر الإسلامي الحديث إلى ممارسة عملية مبرمجة في حياة ويوميات الفرد المسلم، أو المؤسَّسات القائمة في المجتمعات الإسلامية، كما هو الحال في الغرب

ينتهي الباحث د محمد بن موسي إلى أنَّ دراسته لأصول البرمجة في الفكر الإسلامي لا تزال في بداياتها؛ لأنَّ المجال بكر، وهو في حاجة إلى جهود أكثر، وإلى تخصُّصات أكبر، بل إلى مراكز وفرق متخصِّصة (ص 549).

والباحث في تواضع وبعد عمل شاق قال: "إنَّ النتائج التي توصَّل إليها

في عمومها نتائج في المنهج والمصطلح، أكثر من كونها في الموضوع... ويسجِّل ملاحظات على الأولويات في الدراسات الزمنية الإسلامية جملة من الإيجابيات والسلبيات، وأوضح أنه لم تؤلَّف أيُّ محاولات تأصيلية بحقٍ، ولم يطَّلع علي أيِّ جهد متكامل لتطبيق فقه الأولويات في البرمجة الزمنية (ص 551).

في قراءتي للبحث، وهو بحث طويل يقع في أكثر من سبعمائة صفحة بما في ذلك الملاحق والفهارس، لاحظتُ الإكثار من الأقوال التاريخية، والإكثار من النصوص كشواهد تاريخية، وخاصة في الفصلين الخامس والسادس، دون ضرورة يقتضيها البحث، وأغلبها تدور حول الجوانب النفسية الروحية؛ أمَّا جانب العمل والتعمير والإنجاز المادِّي فلا برمجة له، كذلك لاحظتُ أنَّ الباحث لم يقم بتقديم أيِّ استبيان عن شريحة أو شرائح من المسلمين تبين كيف يوظفون الآن أوقاتهم في إطار أنموذج من الأسئلة المبرمجة على أسس إسلامية، ولو وضع عيِّنة من الاستبيانات العملية لنقل الدارس من الجوانب النظرية إلى الجوانب العملية الميدانية، ولأضاف ببحثه مادة مهمة .

ورغم هذه الملاحظات يظل البحث من الدراسات المتطوِّرة التي تضيف إلى المكتبة الإسلامية والفكر الإسلامي عملا قيِّما، وتفتح آفاقا جديدة أمام الراغبين في إنشاء بحوث أخرى في هذا المجال الذي يحتاج إلى المزيد من التطوير والإثراء.

رواية «بوبال»:
هارب من الموت.. ناج من بطن الحوت

جريدة الجديد؛ عدد 146؛ الأحد 15 ربيع الثاني 1432هـ - 26 مارس 2011م.

قراءة: الطاهر عمارة الأدغم، صحفي، مراسل قناة الجزيرة

❖❖❖❖❖❖❖❖❖

خلال عام أربعة وثمانين وتسع مئة وألف كان عمرُه أحد عشر عاما، وكان يعيش حياة مختلفةً عن أقرانه، فقد كانوا يفضّلون اللعب دائما بينما يهرب هو إلى التأمل والتفكر والمطالعة.

والده كان عاملا في مصنع للكمياويات في مدينة بوبال الهندية الجميلة ببحيراتها العريقة وشمسها الناصعة وجوِّها الدافئ أبدا.. جميلةً جدا، لولا الفقر، والمسكنة التي خيَّمت على سكّانها المسلمين منذ أمدٍ بعيد.

تمضي حياةُ محمَّد مع أسرته الصغيرة وادعةً رغم بعض المنغِّصات وشظف العيش، لكن في الأفق ما ينذر بشرٍّ مستطير.. لقد تحالفت المافيا المالية والسياسية في الهند وتآمرت على أهالي المنطقة ذات الكثافة السكانية العالية، وهكذا ظهر إلى الوجود مصنعٌ أمريكي للمبيدات في زمن حكومة رئيسة الوزراء أنديرا غاندي، خريجة جامعة أكسفورد وابنه بريطانيا المدللة.

ولاحقا بُني مصنع آخر أضخم منه فترك الكثير من السكان مزارعهم ليلتحقوا بالمصنع الجديد بأجور زهيدة، وهكذا كان بعض الدسم الذي خبّأ في داخله السم.

حلّت الليلة المشؤومة عندما هرول الأهالي وتعالت الصرخات والبكاء والعويل.. إنها الكارثة.. مات خمسة وعشرون ألف مسلم بسبب تصاعد غازات سامة من المصنع الأمريكي.. وظل مئات الآلاف في العراء حتى وصلت فرق الإغاثة بعد أسابيع.. وما زالت المنطقة تعاني مخلفات تلك الكارثة، وتتجرع غصص التعويض الأمريكي الذي كان خمسمائة دولار لكل فرد مسلم، أي أقل من قيمة عجل في بعض البلاد.

يفقد محمد كلَّ أفراد أسرته ويعيش وحيدا في المخيم، لكنَّ يد القدر ساقت إليه أسرة مسلمة كفلته وأطلقت عليه اسم يونس، فواصل تعليمه حتى بلغ درجات عالية، وهناك بدأ الصراع الداخليُّ بين محمد الذي يحمل في عقله وفكره مأساة مسلمي "بوبال" وبين يونس المتعلم الذي (ولد من جديد) من خلال حياته الميسورة في مدينة (كالكيتا).

فكّر محمد في الانتقام لأهله وذويه، ومن هنا نسج قلم الكاتب حوارا داخليا راقيا، بين شخصين في شخص واحد.. بين محمد ويونس.. وكانت النتيجة قناعة راسخة بأنَّ الانتقام الحقيقيَّ في نموذج الرشد، والخروج من بطن الحوت إلى رحابة العمل والتفاني والاجتهاد لبناء صرح الأمة العلمي... نعم عندما نبني أنفسنا ونحمل سلاح العلم سوف يتحقق الانتقام من الأعداء.

أحداث الرواية حقيقية وهي نتاج (حجٍّ حضاري).. فهناك حج فردي وآخر جماعي، حضاريٌّ كما يسمِّيه كاتب الرواية.. وهو الأمر الذي يدفعه دائما إلى تجاذب الحديث مع حجاج من مختلف بقاع الدنيا، ليقيم معهم علاقات ويحاورهم حول هموم المسلمين وسبل تجاوزها.

إنه الدكتور محمد موسى بابا عمي أحد أبناء منطقة غرداية حيث العلم والأصالة والتاريخ... يدير الآن معهد المناهج بالجزائر العاصمة، وهو تجربة جديدة وفريدة في خدمة العلم والثقافة.

علماء جزائريون يدعون إلى الجهاد ضدّ الكيان الصهيوني

نشر البيان في عدة مواقع الأنترنت، وعرض في الجزيرة مباشرة، ثم نشرت جريدة البلاد نصه، مع العنوان المثبت أعلاه؛ وقد صفته ووقّعه عدد كبير من علماء الجزائر. عدد 3203: الثلاثاء 18 جمادى الثانية 1431هـ - 1 جوان 2010م.

إنَّ الحمد لله وحده، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستلطفه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا؛ داعين الله أن يكرمنا بنور الفهم، ويخرِجنا من ظلمات الوهم، ويَهدي سبيلنا بنور العلم؛ إنه سميع قريب مجيب.

وبعد، فعلى إثر تبعات أحداث "قافلة الحرية"، التي استشهد فيها ثلَّة من خيرة الأمَّة دينا وخلقا، وعلما وعملا؛ ممن باع الدنيا فاشترى الآخرة، وطلّق الملذّات فآثر الباقيات الصالحات، رحمهم الله تعالى برحمته الواسعة... آمين.

على إثر ذلك، رأينا من الواجب إصدار النداء الآتي:

يجب على كلّ مسلم عاقل، مدرك للأمور، عارفٍ بأحوال العصر، وجوبا عينيا لا كفائيا، أن يعتقد نصرة المسلمين، وجهاد الظالمين، وأن ينصر إخوانه في غزة وفلسطين، وكذا المعتدى عليهم في "قافلة الحرية"، سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين.

ولقد تضافرت النصوص القطعية من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، على هذا الحكم، من مثل قوله تعالى:

"وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ" (التوبة:71)،

"وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ" (الأنفال:8)،

"وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ" (آل عمران:167).

وقال عليه السلام: "ما من مسلم يخذل امرأ مسلماً في موضع تنُتهك فيه حرمته، ويُنتقص فيه عرضه، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلماً في موطن يُنتقص فيه من عرضه، وتُنتهك فيه حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته"، وقال عليه السلام: "انصر أخاك ظالما أو مظلوما"، وقال: "من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم". ولقد قرر العلماء: ولو أمرا دنيوي".

وعليه؛ فالحكم العقدي الفقهي على الجهاد في مثل هذه الحال، مما لا يجوز الاختلاف فيه، ولا المباحثة في جزئياته وتفاصيله، لاعتبارات سياسية أو مصلحية... والمقرّر شرعا أنّ الحق قديم، وأنّ الحق واحد، لا يتبدل ولا يتغير بتبدُّل الظروف وتغير الأحوال.

ولا يجوز لمسلم الاقتصارُ على مجرد التألم والتكلم، ولا التعفف والتأفف، بل الواجب على كلّ مسلم أن ينتقل إلى طور "النصرة العملية الحقة"، بالضوابط الآتية:

-1 أن تكون النصرة لوجه الله تعالى، وفي سبيله، لا لدنيا يصيبها، أو منصب يرنو إليه، أو شهرة يبتغيها.

-2 أن لا يضُر ذلك بوحدة المسلمين، ولا بمصلحة الأمة والوطن.

-3 أن يجاهد بما استطاع إلى ذلك سبيلا، وأقرب أنواع الاستطاعة اليوم الإنفاق بالمال والوقت والجهد، لفك الحصار، ورفع الظلم، وتحقيق العزة للمسلمين والعدالة للبشرية جمعاء.

-4 أنّ كلّ من هو أهل للفتوى يجب عليه إعلان فتواه صراحة، ومن تقاعس تقاعس في النار، فإن لم ينفع الفقه في مثل هذه الظروف التي أُزهقت فيها أرواحٌ واستبيحت حرمات، ففيم ينفع إذن؟

-5 أنّ العالِم والمعلم، والإعلامي والسياسي... وكلّ من له صوت يُسمع، يحرم عليه الصمت أو الحياد، أو التبجُّح بما يضرُّ ولا ينفع، أو بما لا يقدم ولا يؤخر.

-6 أن تُعتقد البراءة من كلّ من ساهم في حصار الأبرياء المسلمين في غزة وغيرها، وأن لا يُتعامل مع هؤلاء ولا يُوالون، ذلك أنهم ممن قال فيهم جل من قائل:

"وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ" (المائدة:51)،

وأمرنا بقوله:

"إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ" (الممتحنة:9)،

وهؤلاء ممن قاتلنا في الدين، وأخرجنا من ديارنا، وظاهر على إخراجنا. ولا يغرنكم أنهم منسوبون إلى الإسلام أو العروبة أو غيرها.

وبمناسبة هذا الحدث نحيي الجزائر دولة وشعبا، لإقدامها على إرسال سفينة، وتجنيد مجاهدين؛ ضاربة بذلك أروع مثل في النصرة والتمكين.

الفهرس

الفهرس

مقدمة..... 5

بصيرة البصائر..... 9

ثقافة الردَّة والرداءة 10

فاخلع نعليك 11

دعاءٌ لحضرة السلطان ...آمين 12

نشاط التنصير في الجزائر...

مسؤولية من 13

في بيوت أذن الله أن رفع 14

مُصلَّى المطار 15

... فولَدَ فأراً 16

لتكونوا شهداء على الناس 17

تمنَّوا... 18

روحُ المدن 19

خذوا حذركم 20

الممكن والمستحيل 21

حتى لا يحيق علينا لقول 22

إذا وعد أنْجزَ..... 23

ثقافة المزبلة 24

نصيحة الإمام الأعظم

لطلبة العلم 25

مملكة الذئاب 26

دعوها فإنَّها منتنة! 27

ما أحوجنا إلى مبدعين 28

التجرُّد 29

المرأة بلا عمل 30

زعماء العرب 31

سلطة الاكتئاب 32

أبالحرام نعالج مرضانا..؟ 33

من قال حقوق الطفل؟ 34

ماذا عن جائزة رمضان؟! 35

سلطان الغضب.. في مضان 36

بين الأذان.. ومادلين أولبرايت 37

كل عام وعلماء الجزائر خير 38

بورصة الصراحة 39

الفشل.. وما أدراك ما الفشل 40

عن اليقظة في زمن الغدر،

باختصار !!! 41

لحمٌ على عظم 42

عندما يكون الوقت منديلا 43

ودَّت طائفة من أهل الكتاب

لو يضلُّونكم 44

جودوا بأرواحكم 45

هل هو نسيان أم تناس؟ ! 46

المجاعة في القرن الإفريقي..

ومن يراك يعلم أنك سببها..... 47

كم من بغل رفسَنا... ولكن 49

مقالات 51

نقطة اللارجعة

في التطور التكنولوجي 52

هل من موقف يرضي الشيشان

ويغضب الشيطان؟! 54

وتدور الدائرة لصالح الإيمان 57
رسالة الشرك ومظاهره 59
مِن حزِّ الرقاب إلى جزِّ الأدمغة 60
مكانة الكتاب أمام تطور
وسائل الإعلام 62
الطلاق ضريبة العولمة 69
واجبنا في مسألة
الانتفاضة المباركة 71
ميلاد عالم جديد 75
الجنس في «شبكة الأنترنات» 79
صراع الهوية في المنظومة التربوية ... 82
سلطة الحقوق، وسلطة المصالح:
رسالة إلى المترشحين للرئاسيات ... 86
آالله يؤرِّخ بالميلادي، أم على الله
تفترون 91
بصراحة عن الصراع العقدي 96
بعض الخلل،
عن القرآن الكريم والفكر 98
الخصوصية المذهبية وقانون الأسرة:
ملاحظات من باحث إباضي جزائري...101
الشيخ عدون قطب المخلصين،
وإمام العاملين 109
نحو فريق وطني للعلماء: أو كيف
نستفيد من نصرنا المؤزَّر؟ 114
ما النامي؟ ولماذا النامي؟ 117

تحقيقات وحوارات 119

حوار مع الأديب السوري
الدكتور نزار أباظة 120
الأخلاق أولا والعلم أبداً 124
ميلاد أول مدرسة أصيلة ومتفتحة
في القطاع الخاص .....
البصائر تحاور العلماء 131
التعريف بكتاب «أصول البرمجة
الزمنية» للمرة الثانية
في جريدة بريطانية 138
قراءة في كتاب: أصول البرمجة
الزمنية في الفكر الإسلامِي 141
رواية «بوبال»: هارب من الموت
ناج من بطن الحوت 148
علماء جزائريون يدعون إلى الجهاد
ضدَّ الكيان الصهيوني 150

العمل الصحفيُّ رسالةٌ ومعاناة، جهادٌ وتدافع؛ إذ الإعلام اليومَ ثغرٌ من أشدِّ الثغور الحضارية ضراوةً، مَن كسبه كسبَ المعركة، ومن خسِره تجرّع مرارة الهزيمة...

... وها أنذا، بعد عقدٍ من الزمان، أنشرُ بعضَ ما كتبتُ في الصحافة الورقية، دون الرقمية، وبعضَ المواد التي أعددتُها ولم يكتب لها النشر؛ وأختار له ذات العنوان المعبِّر عن تلكم القيم العزيزة: «بورصة الصراحة»

وغرضي أن يكون هذا العمل - بحول الله - شاهدا ودليلا على مرحلة حرجة مرّت بها جزائرُنا الغالية، وأضيف إلى العمود جملةً من المقالات والحوارات والتحقيقات، التي نشرتُها في البصائر أو في غيرها، ليكتمل المؤلَّف سِفرا محكما، أهديه للقارئ العزيز، عربون حبّ ووفاء، وليَنظُر فيه بعينِ النقد والتمحيص، ذلك أنّ العلم فركٌ وجدل، والرأيَ السديد وليدُ السجال والحوار.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

002
2011
kitabook.net
ISBN 978-9947-817-25-4

بورصة الصراحة بورصة الصراحة بورصة الصراحة بورصة الصراحة

WWW.Drbabaammi.com